
شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (180) 15/10/2017
الحجاز
هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفر الخلود ومعهدُ الآثار
المرأة تقود سيارتها!
جسد في موسكو..
عقل في واشنطن!

هـذا الـعـدد

الدولة البوليسية

حملة واسعة من الاعتقالات طاولت رجال دين، وشخصيات فاعالة، ومنافسين سياسيين، في سياق تعزيز سلطة وسط انسداد الأفق مع قطر. الحملة شملت رجال دين معروفين من بينهم الرمز الصحوي الشيخ سلمان العودة، والشيخ عوض القرني، والشيخ عبد العزيز الطريفي، والشيخ محمد صالح المنجد، وعلي العمري، والشيخ يوسف الأحمد وآخرين وتعد أكبر حملة اعتقالات في تاريخ المملكة الحديث. تقول سماح حديد، مدير منظمة العفو الدولية: (في السنوات الأخـيرة، لا يمكننا أن نتذكر أسبوعاً استهدف فيه عدد كبير من الشخصيات السعودية البارزة في هذه الفترة القصيرة من الزمن).

وتأتي الحملة عقب محاولة فاشلة لإنهاء صراع دام أكثر من ثلاثة أشهر بين الرياض وجارتها الصغيرة، قطر، والتي رفضت دعوات لفك الارتباطات مع الاخوان المسلمين وايران.

هدف الاعتقالات واضح، وهو الحد من نفوذ المشايخ حيث يعتقد إبن سلمان وفريقه بأنهم نأوا بأنفسهم عن دعم أي موقف ضد قطر. ويعتقد مسؤولون سعوديون كبار بـأن هذا النأي الطوعي أو القهري أدى الى تقليص حدود السلطة السعودية، بدلاً من إستعراض القوة ضد قطر. ولكن، وبقدر ما تحقق الحملة مقترح الربط بالأزمة الخليجية فإن البعد الداخلي هو الأساس الذي يعتمد عليه في تحليل أبعاد وخلفيات الحملة، ويندرج في سياق تقويض أي قواعد لسلطة منافسة كامنة في الجبهة الداخلية تطمح للوصول الى القمة أو تعين على ترجيح خيار آخر. وسوف يبقى محمد بن سلمان متوجساً من وجود أنصار لولي العهد المخلوع محمد بن نايف، أو الحرس القديم.

هيئة كبار العلماء أيّدت الاعتقالات، وكذلك الاعلام الرسمي، وفيما ركّز الاخيرعلى اصطفاف المشايخ المعتقلين الى جانب الاخوان المسلمين، فإن جهاز أمن الدولة (المستحدث) المرتبط مباشرة بالملك، نسج قصة اكتشاف «خلية تجسس» على صلة بـ «قوى أجنبية».

حملة الاعتقالات ضد مشايخ الصحوة والمقرّبين من الإخوان المسلمين تحمل رسالة ليس الى المعارضين للنظام السعودي فحسب، بل وإلى الذين آثـروا الصمت إزاء الأزمـة الخليجية، أو ابتهجوا لقرب انفراجها مثل الشيخ الصحوي البارز سلمان العودة والشيخ عوض القرني، عقب الاتصال الهاتفي بين تميم بن حمد ومحمد بن سلمان.

منذ يونيو ٢٠١٧، بدأ النظام يراقب ردود فعل الاسلاميين، والمتهمّين بالولاء لقطر، أو من يتلقون مساعدات مالية منها. وقد أصبح النظام مرتاباً من الاسلاميين متهّماً إياهم بالولاء المزدوج، ولكونهم بمثابة طابور قطري خامس في قلب السعودية.

العودة وآخرون التزموا الصمت، مفضّلين عدم الانحياز الى أي جانب بصورة علنية. ولكن لم يكن ذلك كافياً. فقد أراد النظام السعودي اختبار ولائهم وتسليمهم المطلق. وحيث أن مشايخ الصحوة تفادوا ذلك علنياً في دعم النظام، فإن النظام أصبح مرتاباً، متّهماً إياهم بالولاء المزدوج.

في تعليقها على حملة الاعتقالات الأخيرة وسط الاسلاميين، ذكرت صحيفة (فايننشال تايمز) في ١٩ سبتمبر الماضي بأن السعودية كانت منذ أمد بعيد دولة قمعية وتسلّطية، ولكن حملة الاعتقالات الأخيرة تفيد بأنها أصبحت أسوأ تحت قيادة ولي العهد المتهوّر. جنباً إلى جنب مع والده، كان محمد بن سلمان مسؤولاً عن المغامرة المدمرة في الخارج، والآن يستخدم نفس التقدير السيء الذي قاد الحرب على اليمن والحملة ضد قطر لخنق النقد السياسي في الداخل.

الحملة متواصلة وتمتد الى الاتجاهات كافة، لا تفرّق بين صحوي أو ليبرالي ولا سني ولا شيعي، ولا سلفي أو تنويري، فكل التيارات بات في مركز استهداف جهاز «أمن الدولة»، الذي يكاد يلغي الدور الأمني لوزارة الداخلية، التي أصبحت «زرزوراً» بعد أن كانت «غولاً». شيء واحد يمكن أن تنبيء عنه الحملة الأمنية هو نضوب الخيارات الأخرى، ذات الطابع السلمي والاغرائي، فحين تعدم الدولة المنجز الذي يمكنها تقديمها لشعبها، أي الجزرة، فإنها تلوذ الى القوة، وبها تعوّض مشروعيتها، ولكن معها تتآكل شعبيتها، لأن مشروعية القوة لا تنسجم بتاتاً مع المشروعية الشعبية، فالعنف يـؤدي على الـدوام الى تقويض الرأسمال الشعبي للدولة.

كان حكام آل سعود يعتمدون سياسة مزدوجة، يقدّمون الجـزرة لهذه المنطقة ويلوّحون بالعصا في منطقة أخـرى، ويغدقون المال على هذه الفئة ويحرمون فئات أخـرى. وقد نجحوا على مدى عقود في إدارة سياسة الناس على أساس هذا التمايز في العطاء والتعامل والثواب والعقاب.

أمـا الـيوم، فـإن الـدولـة وبفعل سياساتها الكارثية في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والاعلامية، فقد بات لديها خيار واحد هو القمع وليس سواه. إن إظهار وجه حضاري ومدني وحداثوي مثل السماح للمرأة بقيادة السيارة، أو تنظيم حفلات ترفيه ماجنة، ليس هو ما يطلبه الناس، ولا فئة الشباب بكونه المستهدفة بهذه التغييرات، فالشباب بحاجة الى وظائف، وسكن، وتأمين صحي، وتعليم..الخ. وهذا ما لم يشتغل إبن سلمان على توفيره، باستثناء الوعود المؤجلة التي لاتنبيء عن ولادة طبيعية..

لا تجتمع التنمية مع القمع، وإن الدولة البوليسية ليست البيئة الحاضنة للتحوّلات الاقتصادية الكبرى. إن اعتماد نموذج الصين كمثال على اجتماع الاستبداد والازدهـار الاقتصادي يعبّر عن فهم مشوّه للمثال، مع أن الامثلة جمّة على العلاقة الحميمية بين الديمقراطية والازدهار الاقتصادي كما في الغرب، بينما التخلف دائماً حليف الدول المستبدة..فهل يستوعب إبن سلمان أن ما تحقق حتى الآن هي «روية بوليسية».

مملكة على صفيح «المغامرات»

محمد قستي

بدأ عصر المغامرات بمجيء الملك سلمان الى الحكم في ٢٥ يناير ٢٠١٥.

بإمكان الباحثين والمتابعين ان يتحدثوا عن مغامرات هذا العصر الكثيرة، وتصنيفها في شتى المجالات.

كل مغامرة كبرى أقدم عليها الملك سلمان، ومن ثمّ ابنه، يمكن ان تكون قاصمة الظهر؛ وما يسمى مغامرة في (أمر هيّن) لا يعدّ مغامرة في الأساس؛ وإنما المغامرة في القضايا الكبيرة التي تحدّد مسار الحكم، ومستقبل المملكة وشعبها.

أول المغامرات، إن أردنا تحديدها، هي تعيين سلمان ابنه ولياً للعهد، وتغيير نمط انتقال وراثة الحكم الأفقي من الأخ الى أخيه، الى الخيار العمودي، أي من الإب الى ابنه.

هذا التعيين استدعى الإطاحة بإثنين من ولاة العهد في عامين: (مقرن، ومحمد بن نايف)، اولهما عبر المال والضغط، والثاني بالقوة والإقامة الجبرية.

واستدعى التعيين ـ بشكل حتمي ـ تفكيك وحدة العائلة المالكة، وهذه مغامرة أخرى. فتعيين محمد بن سلمان ولياً للعهد مغامرة، استدعت مغامرة ثانية هي الاطاحة بمحمد بن نايف، وخلقت مغامرة ثالثة وهي التضحية بالعائلة المالكة وعدم الاعتناء بانشقاقها، بما له من تداعيات قد تصل الى حد المقامرة بحرب أهلية (نجدية) على غرار ما حدث لأبناء فيصل بن تركي في القرن التاسع عشر الميلادي.

ثاني المغامرات المهمة، حرب اليمن العدوانية.

البدء بالحرب كان مغامرة كبرى، مغامرة بالأمن السعودي نفسه، وبالنفوذ السعودي المهيمن في اليمن، وكذلك فالحرب مغامرة بالإقتصاد السعودي، وبسمعة السعودية.

الفشل في تحقيق نصر، والإصرار على مواصلة العدوان، ورفض الحلول السياسية، مغامرات متراكمة. فقد تحولت الحرب الى استنزاف متعدد الجوانب، والقبول بأنصاف الحلول مغامرة أخرى، لأنها تعني الفشل بما له من ارتدادات على وضع الحكم الداخلي. فلا أخطر من انعكاسات الهزيمة العسكرية على المزاج الشعبي، واحياناً على القوات المسلحة نفسها، والتي قادت في بلدان عربية اخرى الى انقلابات متكررة، كما في سوريا والعراق ومصر.

ثالث المغامرات الكبيرة، هي رؤية محمد بن سلمان الاقتصادية ٢٠٣٠، فقد لاحظ المحللون الاقتصاديون أنها رؤية عمياء بمجرد أن قرأوا تفاصيلها.

عنصر المغامرة في هذه الرؤية لا علاقة له بالنهب والفساد ـ إن تمدد وزاد من عدمه؛ وإنما في أمر أكثر خطورة بما لا يقاس، وهو: تحويل الاقتصاد الريعي، الى اقتصاد ضرائبي، وهو أحد أهم أعمدة الرؤية.

الرؤية غير المدروسة لها علاقة مباشرة بانحطاط شرعية الحكم، التي تعتمد على الريع، اي على ما تقدمه الدولة من خدمات؛ وإن تحويل الاقتصاد الى أعباء ضريبية على المواطنين، يعني تحولاً في مصادر شرعية النظام الذي لم يفتح منافذ سياسية تغطّي سياسة التحول الاقتصادي. أي أنه لم يقم بفتح نافذة التمثيل السياسي، وكأنه يعيش عهد الريع والدولة الريعية!

السياسة الضرائبية التي شملت كل شيء تقريباً، زادت من اعباء المواطن. وزادت من البطالة بسبب توقف العقود الحكومية ضمن سياسة (التقشف)؛ حيث أفلست مئات الشركات، ولفظت موظفيها المحليين والأجانب.

في تفاصيل الرؤية العمياء ٢٠٣٠ التي يقال ان هناك الآن مراجعة لها.. توجد مغامرات مثيرة لا تقل أهمية، من بينها:

مغامرة بيع شركة أرامكو، وهو أمرٌ يكاد يصيب المحللين المحليين بالانفجار من شدّة الغضب. إذ كيف تبيع البطة الوحيدة التي تمتلكها والتي تبيض ذهباً وتوفر معظم مداخيل الدولة؟

مغامرة أخرى، تتعلق بصندوق الاستثمار الحكومي (او هيئة الاستثمار)، الذي يستثمر اموال الدولة وما يتم خصخصته من شركاتها الكبيرة، بما فيها التعليم والصحة والمطارات والطرق والبلديات وغيرها.. يستثمر معظمها في حقل النفط والطاقة نفسه. لماذا تبيع أرامكو إذن؟

ثم إن غياب الشفافية والمحاسبة فيه مخاطرة بكل شيء تقريباً، والأسئلة كثيرة: من يدير جهاز الاستثمار، ما هو حجم ممتلكات الدولة واستثماراتها؟، اين هي التقارير عن أداء هذا الجهاز او الصندوق؟ في أي مجال يجري الاستثمار وفي أي دول؟ ما مدى الحماية المتوفرة؟ ما هي الجدوى الاقتصادية لبرامج الاستثمار؟

باختصار هناك مغامرة برأس المال، وليس بالإيرادات النفطية فقط، بل وهناك مغامرة بأملاك الدولة من الأراضي، وبإيرادات التخصيص لأرامكو وللأجهزة والمؤسسات الأخرى.

لم يحدث في تاريخ البلد ان خاضت مغامرة كهذه، خاصة وأنها تأتي ضمن مغامرات أخرى كثيرة في نفس الوقت، ولا يوجد دليل على أن أحدها يمكن أن ينجح!

ومن المغامرات في السياسة الخارجية: الصراع مع قطر. وهذه تشمل مغامرة بمستقبل مجلس التعاون الخليجي الذي تعد فيه السعودية المستفيد الأكبر، فهو أداتها للسيطرة على دول الخليج الأخرى.

وهذه المغامرة على مستوى النفوذ والأمن القومي، قابلة للتكرار، سواء مع سلطنة عمان او مع الكويت، وهي مغامرة قد يستتبعها زيادة المخاطر بحساب الامن القومي السعودي، تأتي من ايران وتركيا.

الآن نحن أمام مغامرة اكبر من مغامرة السعودية في سوريا او العراق من حيث الارتدادات المباشرة على الداخل السعودي. فقطر هي الدولة الوحيدة التي تمتلك قوة ونفوذا كبيراً داخل السعودية: باعتبارها دولة وهابية فلها شبكة علاقات واسعة مع مشايخ النظام الرسميين، ومع الصحويين (اعتقل

رموزهم مؤخراً). وقطر هي جزء من البناء الخليجي، ومعاقبتها اشبه ما يكون بمعاقبة الذات.

ثم ان النظام السعودي دخل في مغامرة كسر عظم على الطريقة اليمنية: لا انصاف حلول، ولا بد من اسقاط النظام في قطر. هذا قاده الى استخدام المؤامرات العسكرية، وحاول شق آل ثاني، واستخدم القبيلة في أقبح صورها. ولأن قطر ليست سوريا او العراق، فإنها تستطيع القيام او الرد بالمثل: اعلاما وسياسة وتمويلا، وهنا مكمن الخطر. وما تتعرض له قطر من صعوبات اقتصادية، تنعكس على السعودية والإمارات ايضاً. وهكذا فإن المغامرة السعودية غير محسوبة لا في الأدوات ولا في النتائج، وهي كما مغامرة اليمن، مفتوحة بلا أفق حل، واستمرارها ضارٌ بالسعودية كما بقطر.

بقيت مغامرة أكبر من كل المغامرات السابقة، التي اقترفها العهد السلماني في سنوات حكمه التي لم تكمل عامها الثالث، ألا وهي: تغيير أيديولوجية الدولة (الوهابية)، او التحوّل عنها، او تخفيض دورها.

ومع ان هذه المغامرة تلقى ترحيباً كبيراً في أوساط مختلفة بما فيها الوسط النجدي الحامل للدولة والحاكم السيد فيها (رغم أقلّويته): الا ان الاجراءات بحدّ ذاتها جاءت كمغامرة ناتجة عن مغامرات سابقة.

كأننا ازاء مغامرة تلد أخرى، كما هي: حرب تلد أخرى.

الدولة السعودية قامت بثنائية نجدية (آل سعود ومشايخ الوهابية): والآن لأول مرة ليس فقط يتم اخضاع المشايخ لآل سعود، فقد كانوا خاضعين دوماً، وبقيت لهم مكانتهم كمانح للشرعية في الوسط الوهابي النجدي، ولقدرتهم على حشد الولاء للنظام.. هذه المرّة هناك (تهميش) لدور الوهابية في ادارة الدولة وفي صياغة المجتمع.

لم تعد الدولة ثنائية الرأس، كما يتوهم، وأحيانا كما يجادل المشايخ أنفسهم (ولاة الأمر هم العلماء والأمراء)!

ولم تعد السلطة بيد العائلة المالكة، بل بيد الملك وابنه، ولم يحدث في تاريخ السعودية منذ وفاة مؤسسها في نوفمبر ١٩٥٣، ان نال ملك سعودي من السلطة ما ناله الملك سلمان، او لنقل الملك غير المتوج محمد بن سلمان. لا توجد شراكة داخل العائلة المالكة في الحكم.

احتكار السلطة والقرار السياسي والاقتصادي والاستثماري والأمني والعسكري والترفيهي وغيره بيد محمد بن سلمان، كان مقدمة لاتخاذ قرارات لا يستطيع اتخاذها في حال وجود مراكز قوى عديدة، سواء داخل العائلة المالكة او في المجتمع النجدي عامة.

ويسبب الحاجة الاقتصادية التي سببتها مغامرة سعودية سلمانية اخرى: (اغراق أسواق النفط) وما تبعها من هبوط الأسعار، كان لا بد من مغامرة هيكلة الاقتصاد وتغيير مساره. وتغيير مسار الاقتصاد (الى الضرائب) قاد الى مغامرة فتح الأبواب للسياحة المحلية، كتنفيس اجتماعي ليتقبل القرارات الاقتصادية، ولدفع المواطنين لانفاق اموالهم داخلياً. هذا لا يأتي الا بمغامرة: تخفيض دور هيئة المنكر الى حد الحاقها بوزارة الشؤون الاسلامية، وربما الغائها في المستقبل؛ وتأسيس هيئة الترفيه لتطلق العنان للحفلات الغنائية والراقصة؛ وليتوج الأمر بالسماح لقيادة المرأة بالسيارة، وفتح دور السينما، واعادة النظر في وسائل الترفيه.

كل هذا لم يكن ليتم دون ان تتم المغامرة الكبرى: اضعاف المؤسسة الدينية، ووضع الحركيين الوهابيين (الصحويين وغيرهم) في السجون، حتى لا يكون هناك اعتراض، حيث تشتد حملة قمع الأنفاس.

التغيير في ايديولوجيا الدولة ليس مستحيلا او صعباً بالنسبة لمعظم الدول، لكنه في السعودية اكثر صعوبة، بل اكثر خطورة.

اولاً، لأن الدولة في اساسها نجدية وهابية، وكان للمشايخ دور في تأسيسها وادارتها، اي انهم ليسوا طارئين على الدولة بل مؤسسون لها. ورغم اقلوية المذهب الوهابي، الا انه صار دين الدولة الرسمي. وإن ازاحة الدور التاريخي للوهابية، يضعف النظام في شرعيته وفي محيطه النجدي. وبالتالي لا بد له من أن يجد مصادر أخرى للشرعية، وأن يتحمل تبعات هذا القرار، لأنه قد يفجر عنفاً وهابياً داعشياً كامناً، اذ لا يخفى الانشقاق داخل الحاضنة النجدية نفسها، كما داخل المؤسسة الدينية، كما داخل النخبة التكنوقراطية النجدية التي تدير الدولة.

وثانياً، لأن العائلة المالكة لطالما اعتبرت نفسها نجدية التكوين والادارة، وبالتالي لم تنفتح على الأكثرية الشعبية في المناطق الأخرى، بل عادتها وقمعتها في مصالحها وفي هويتها، ويضرب المؤسسة الدينية يضعف حكم نجد، حكم العائلة المالكة، ما لم يقدم على الانفتاح على تلك المناطق الاربع: الحجاز، الشمال/ تبوك والجوف، الشرقية/ الاحساء والقطيف، والجنوب المهمش هو الآخر/ جيزان ونجران وعسير. بدون هذا، تضيق الدائرة على النظام ويصبح بدون دعم شعبي.

لكن هذا الانفتاح على المناطق الأخرى، يعني اعادة حصحصة المناصب الحكومية المحتكرة اصلاً لنجد الأقلوية. كما يعني اعادة توزيع الثروة بالعدل.

ولكن هل يقدم محمد بن سلمان على ذلك، فيجعل من الابتعاد عن الوهابية المتطرفة، وسيلة لتأسيس معنى حقيقي للدمج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لمكونات الشعب؟

نشك في ذلك.

وتبقى مغامرات العهد السلماني كثيرة ومتعددة، وكل مغامرة منها لم تحسم حتى الآن، كما لا يُعلم على وجه الدقة نتائجها سلباً أو ايجاباً، وان كان التقييم العام يفترض ان زوابع عديدة تنتظر الحكم السعودي بسبب الفشل شبه الحتمي لـ (معظم) إن لم يكن (كل) تلك المغامرات.

الملك سلمان في موسكو.. التقاء المصالح والأخطار

عمر المالكي

ظروف الزيارة المؤجلة منذ ٢٠١٥، نضجت، وبات بإمكان الرياض وموسكو ترجمة «النوايا» الى «اتفاقيات». معطيات جمّة تؤكد فصل المسارين: السياسي والاقتصادي، برغم من تأثير كل منهما على الآخر. في الاقتصاد، أصبح كل شيء قيد التفاهم السعودي الروسي. لم يكن ذلك ممكناً دون تغييرات جيوبوليتيكية فارقة في منطقة الشرق الأوسط.

زيارة الملك سلمان في هذا التوقيت تنطوي على إقرار بالدور الحيوي للروس في منطقة الشرق الأوسط سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً. ذلك ان شبكة التحالفات التي أقامها الروس في المنطقة، فرضت واقعاً جيواستراتيجياً لا يمكن تجاوزه. الاتفاق الأميركي الروسي، في المنطقة يبطن، هو الآخر، إقراراً أميركياً بالدور الروسي الحيوي في معادلات المنطقة، ان لم يكن اعترافاً ـ بنحو ما ـ بهزيمة المشروع الامريكي.

حاجة السعودية الى التنسيق مع روسيا يشمل جملة من الملفات: النفط، التعاون التجاري في مجال الصناعة العسكرية، الطاقة النووية، الاستثمارات في البنية التحتية.

في المواقف السياسية، بحسب خطاب الملك سلمان أمام بوتين، أن الرياض لا تزال تتمسك، في الظاهر، بمواقفها السابقة: في اليمن، تأكيد على الحل السياسي استناداً الى المبادرة الخليجية والقرار الدولي ٢٢١٦؛ وفي الازمة السورية على جنيف ـ ١ وقرار مجلس الأمن الدولي ٢٢٥٤؛ و حول إيران يعيد الملك سلمان التأكيد على المطالبة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة.

قد تومىء تصريحات وزير الخارجية السعودية عادل الجبير في المؤتمر الصحافي مع نظيره الروسي، سيرغي لافروف، في موسكو في ٥ اكتوبر ٢٠١٧ الى تطابق أو على الأقل تقارب في وجهات النظر حيال ملفات المنطقة، على الأقل في الأزمة السورية من خلال التأكيد على دور الرياض في توحيد صفوف المعارضة المعتدلة، والمشاركة الفاعلة في مؤتمر آستانا في ٣٠ اكتوبر الجاري. وعليه، قد يكون مصير الأسد من الملفات الخلافية المؤجّلة.

وفي موقف لافت، وجّه لافروف نقداً غير مباشر للايديولوجية المشرعنة للنظام السعودي، أي الوهابية، إذ ربط بين محاربة الارهاب ومحاربة الايديولوجية المتشددّة المسؤولة عنه.

في خلاصة أولية وإجمالية، فإن روسيا، في الحقبة السوفييتية، كانت أول من زرع وهي اليوم آخر من حصد، وقد يصدق المثل: طبق الانتقام يؤكل بارداً.

(١)

البداية المأزومة وعبء التاريخ

من المفارقات التاريخية، أن الاتحاد السوفييتي كان أول من اعترف بدولة إبن سعود في ١٩ فبراير ١٩٢٦، وكان يطلق عليها حينذاك «مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها». ولعل السبب في اعتراف الاتحاد السوفييتي هو وجود ممثلية سابقة له في جدّة، قبل احتلال عبد العزيز الحجاز في ١٩٢٦. وقد سعى عبد العزيز التقرّب من السوفييت في ذلك الوقت لأسباب إقتصادية، وأوفد نجله، الأمير فيصل، رئيس دائرة الشؤون الخارجية آنذاك، الذي زار موسكو لمدة ١٥ يوماً في الفترة ما بين ٢٨ مايو ـ ١٣ يونيو ١٩٣٢، أي قبل شهور قلائل من الإعلان الرسمي للمملكة السعودية (٢١ سبتمبر ١٩٣٢)، وعقد صفقة شراء مادة الكيروسين بدفع موؤجّل، وكان برفقته السفير السوفييتي في جدّة عبد الكريم عبد الرؤوف حكيموف (القنصل السابق في مدينة مشهد في ايران العام ١٩٢١)، والذي عيّن لاحقاً سفيراً في العام ١٩٢٤ في جدّة.

في العام ١٩٢٩ نقل حكيموف الى صنعاء تحت حكم الامام يحيى حميد

الدين، ثم عاد في العام ١٩٣٤ إلى موسكو لاستكمال دراساته العليا، وفي العام التالي طلب منه التوجّه الى المملكة السعودية، ولكن في العام ١٩٣٦ أستدعي على عجل مع البعثة الدبلوماسية السوفييتية الى موسكو، وفي شتاء العام ١٩٣٧ أقتيد الى سجون الاستخبارات السوفييتيه كي جبي بي في الحقبة الستالينية، وجرى إعدامه لاحقاً، بتهمة «التخابر مع جهات أجنبية» وأنه «جاسوس لدولة معادية»، بحسب أرملة حكيموف، خديجة. وتذكر أرملة حكيموف أن من بين من كان يتردد على السفارة السوفييتية المستشار الانجليزي جون فيلبي، وتذكر بعض الوثائق أن السفارة كانت تخضع للمراقبة.

وكان فيصل طلب مساعدات اقتصادية من موسكو، ولكن الرئيس السوفييتي جوزف ستالين كان منكبّاً على محاربة المجاعة المتفاقمة في أرجاء الاتحاد، إلى جانب طموحه المستبد نحو الإنتقال بدولته الاتحادية كيما تصبح قوة صناعية كبيرة، فرفض طلب فيصل، في سياق رؤية سوفييتية حينذاك تقوم على غياب أفق في العلاقة مع السعودية، تماماً كما هي الرؤية السائدة حينذاك لدى الأميركيين الذين أحجموا أكثر من مرة عن فكرة التنقيب عن النفط لولا تدخّل المستشار الانجليزي للملك عبد العزيز جون فيلبي (والد الجاسوس الروسي كيم فيلبي)، لدى الشركات النفطية العالمية. في النتائج، تم استدعاء السفير السوفييتي في السعودية حكيموف في ١٩٣٦، ثم أعدم لاحقاً بتهمة التجسس لصالح دولة معادية وأسدل الستار على العلاقة بين موسكو والرياض حتى عام ١٩٩٠.

قد يبدو مفيداً الاشارة الى أن حكيموف عكف على دراسة الأوضاع الاقتصادية للمملكة السعودية وأراد تقديم المساعدة لها، وحاول إقناع القيادة السوفييتية بذلك، ولكن أزمة المجاعة المتفاقمة أذهلت موسكو عن استغلال حاجة المملكة الناشئة لناحية تطوير العلاقة معها..وبحسب رواية أرملة حكيموف، فإن معظم الأبحاث والدراسات التي وضعها حكيموف حول الدولة السعودية الفتية لا تزال محفوظة في الخارجية السوفييتية، وتعتقد أنها لاتزال تحتفظ بقوتها وعمقها حتى الآن.. بحسب مقابلة خديجة، أرملة حكيموف مع مجلة (المجلة) السعودية.

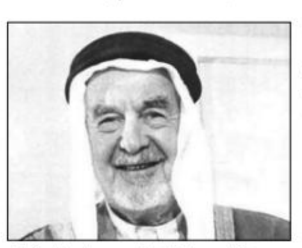

الأمير فيصل في موسكو ١٩٣٢

انهمك حكيموف في اعداد مسودة مشروع التعاون المشترك بين موسكو والرياض، ولكن التحوّلات الكبرى التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وقرار عبد العزيز بعد لقاء روزفلت في فبراير ١٩٤٥ بالدخول في تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة، أوصد أبواب التعاون والتعامل بين الطرفين، وتحوّلت السعودية الى رأس حربة ضد المعسكر الشيوعي في منطقة الشرق الأوسط، وبدأت في تطوير خطاب إسلامي، يكافح الشيوعية، وليس الاستعمار، كما جاء في مقالة سيد قطب (إسلام أمريكاني) في يونيو ١٩٥٢. وبعد الاعلان عن مشروع إيزنهاور في ٥ يناير سنة ١٩٥٧، تحوّلت السعودية الى جبهة أميركية متقدّمة في مواجهة المعسكر الشيوعي في الشرق الأوسط.

وفي مرحلة الحرب الباردة الممتدة من ١٩٤٧ ـ ١٩٨٩ تماهت الرياض تماماً مع القطب الأميركي ضد القطب السوفييتي في الشرق الأوسط، وكانت للرياض أدوار حيوية في تأجيج مشاريع الكراهية ضد الشيوعية والمعسكر الشرقي عموماً، وموّلت الحروب الأميركية القذرة في أمريكا اللاتينية، والقارة السوداء. في حقيقة الأمر، كانت السعودية تخوض حرباً شاملة ضد الاتحاد السوفييتي، تجمع الجانب الإيديولوجي، مع الاقتصادي، والسياسي، والأمني والاستخباري، وأخيراً العسكري بإشعال حرب ضد القوات السوفييتية في أفغانستان في ١٩٧٩، ورصدت السعودية موازنة ضخمة لتمويل الحرب، قدّرت بنحو ٤٠ مليار دولار، وفتحت أبواب «الجهاد» ضد «الالحاد» الشيوعي في أفغانستان، تحت رعاية وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية سي آي أيه.

في المقابل، كان الدعم السوفييتي لأنظمة ماركسية في أثيوبيا، اليمن الجنوبي، وأفغانستان، يستهدف في نهاية المطاف تطويق المملكة السعودية، وصولاً الى إسقاط العائلة المالكة الحليفة للولايات المتحدة.

وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٨٩، بدا أن صفحة جديدة على وشك أن تُفتح في العلاقة السعودية الروسية. وفي بادرة إيجابية من الجانب الروسي، ضمن سياسة بيرويسترويكا (التفكير الجديد) التي انتهجتها موسكو في عهد الرئيس ميخائيل جورباتشوف، ترجمت في مساعي عضو مجلس الرئاسة، ومجلس الأمن القومي لروسيا، يفغيني بريماكوف، وزير الخارجية لاحقاً، لإقناع الرئيس العراقي صدام حسين بسحب قواته من الكويت، التي دخلتها في ٢ أغسطس ١٩٩٠.


خديجة حاكيموف ولقاء مع مجلة المجلة

في عقد التسعينيات، كانت العلاقات السعودية الروسية فاترة يتخللها بعض التوتر، وكان لكل من موسكو والرياض مبرّره في الخصومة مع الآخر. بالنسبة للسعودية، كان المبرر يتمحوّر حول صفقات بيع السلاح الروسي الى طهران ودعم برنامج الطاقة النووية الايرانية (وسط مخاوف من احتمالية تطوّره لأغراض عسكرية). في هذا الصدّد، تذكر صحيفة (كوميرسانت) الروسية في ١٥ يوليو ٢٠٠٨ بأن السعودية عرضت على الروس شراء أسلحة بقيمة ٢,٤ مليار دولار في مقابل وقف تعاون موسكو مع طهران. وبرغم من نفي الناطق باسم رئيس الوزراء الروسي، حينذاك، فلاديمير بوتين صحّة التقرير، إلا أن وسائل الاعلام الروسي ومسؤولين روس تحدّثوا في زيارات أخرى لمسؤولين سعوديين إلى روسيا عن العرض السعودي المتكرّر في السر والعلن.

لناحية الجانب الروسي، فإن المسؤلين والخبراء اتهموا بصورة علنية الرياض بدعم المتمرّدين الشيشانيين والعمل على نشر «الوهابية» بين المسلمين في روسيا والجمهوريات السوفييتية السابقة. وبحسب تقارير عديدة، تورّطت السعودية في الحرب الروسية الشيشانية (١٩٩٤ ـ ١٩٩٦)، حيث انتقل قسم وازن من الأفغان العرب الى الشيشان، وبرز من المقاتلين السعوديين من تولوا مراكز قيادية من بينهم أبو الخطاب، (أسمه الحقيقي سامر بن صالح بن عبد الله السويلم)، واغتيل برسالة مسمومة في ٢٠ مارس سنة ٢٠٠٢ بتخطيط من الاستخبارات الروسية، وأبو الوليد، (أسمه الحقيقي عبد العزيز بن سعيد بن علي الغامدي)، الذي قرر نقل العمليات المسلحة الى داخل الاراضي الروسية، وقضى في مواجهات مسلحة مع القوات الروسية في ١٩ إبريل ٢٠٠٤.

جون فيلبي هل كان يتجسس على السفارة السوفيتية في جدة؟

تبنّت السعودية سياسة واضحة في التدخل في الشأن الشيشاني عبر توظيف حملات الاغاثة كبوابة للنفوذ، وأعلنت السعودية في اجتماع وزاري برئاسة الملك فهد (برغم إصابته بجلطة دماغية في صيف ١٩٩٦)، في ٢٧ ديسمبر ١٩٩٩ عن إرسال طائرتين محمّلتين بمواد إغاثية لمسلمي الشيشان، الذين يتعرضون «للقتل والطرد الجماعي» بحسب البيان. ونظّم التلفزيون السعودي قبيل ذلك حملة تبرعات لمسلمي الشيشان، وتبرع الملك فهد بخمسة ملايين ريال. وتتّهم المملكة السعودية روسيا «بالتظاهر بالجهل فيما يخص المواثيق الدولية لشن حربها ضد الشيشانيين».

وفي ١٦ مايو ٢٠٠١ قام شخصان من أصل شيشاني باختطاف طائرة

من طراز توبولوف ١٥٤ تابعة لشركة طيران فنوكوفي الروسية بعد قليل من اقلاعها من اسطنبول في رحلة إلى موسكو واجبارها على الهبوط في مطار المدينة المنورة. وقال ألكسندر كليموف الرئيس التنفيذي لشركة فنوكوفو ان خاطفي الطائرة طلبا «إنهاء حملة روسيا العسكرية في الشيشان». وبرغم من نفي المتمرّدين الشيشانيين أي علاقة لهم باختطاف الطائرة، فإن السلطات الروسية وضعت عملية الاختطاف ووجهة الطائرة المختطفة في سياق الحملة العسكرية الثانية في الشيشان. وأمر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بتشكيل فريق من مسؤولين كبار لمواجهة الأزمة، وأعرب بوتين «عن تأييده اجراء مفاوضات قصد انهاء عملية خطف الطائرة الروسية..».

وبرغم من مطالبة بوتين الجانب السعودي بتسليم الخاطفين الا أن الأمير نايف بن عبد العزيز، وزير الداخلية آنذاك، قال بأن مصير الخاطفين «ستحدده السلطات السعودية»، فيما قال الجهاز الاعلامي التابع للرئيس الشيشاني أصلان مسعدوف أن خاطفي الطائرة الروسية «يجب أن يعاقبوا طبقاً للشريعة الاسلامية» وأن لا يتم تسليمهم الى موسكو»، وحمّلت الرئاسة الشيشانية الرئيس بوتين «مسؤولية خطف الطائرة باعتبار أن «الجرائم التي ارتكبتها القوات الروسية في الشيشان دفعت الشيشانيين الى ارتكاب هذه الأعمال» بحسب صحيفة (الشرق الأوسط في ١٨ مارس ٢٠٠١)..

تجدر الإشارة الى أن الزخم الداخلي نحو أسلمة الحركة الانفصالية الشيشانية لم يكن نابعاً من الشعب الشيشاني بشكل عام، بل من مجموعة من أمراء الحرب والسياسيين الذين حصلوا على مناصب بارزة في الشيشان بسبب الحرب. وشملت هذه المجموعة شامل باساييف (ب .١٩٦٥)، سلمان راديف (١٩٦٩ – ٢٠٠٢)، أربي (١٩٧٣ – ٢٠٠١)، موفسار باراييف (١٩٧٩ – ٢٠٠٢)، موفلادي أودوغوف (b.١٩٦٢) و سليم خان ياندارბييف (١٩٥٣ – ٢٠٠٤). وقد خضع هؤلاء الأفراد لعملية التطرف/الأسلمة خلال الحرب الأولى.

وكان أودوغوف قد ذكر علناً ان الشيشانيين يمكنهم استخدام المجاهدين الافغان في معركتهم ضد موسكو. وهناك دلائل تشير إلى أن بعض الدوائر الوهابية في السعودية اختارت أودوغوف، مع إسلام خاليموف، كدعاة


● أمر ملكي بتشكيل:

هيئة برئاسة سلمان لاستقبال التبرعات بالمملكة للمجاهدين الأفغان

سعود الفيصل يترأس وفد المملكة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي يبدأ بعد غد

الرياض – واس –
صدرت الموافقة السامية بتشكيل هيئة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض لغرض استقبال التبرعات للمجاهدين المسلمين في افغانستان ويتفرع من هذه الهيئة هيئات في جميع انحاء المملكة لاستقبال التبرعات وترتيب طرق ايصالها لمستحقيها.. وتأتي هذه الموافقة السامية انطلاقا من المشاعر الانسانية والتضامن الديني الذي ابداه المواطنون تجاه محنة اخوانهم مجاهدي ومشردي افغانستان.

سعر الذهب يواصل الانخفاض

ترقبوا افتتاح

حرب سعودية ضد «الشيوعية» في افغانستان

لأيديولوجيتهم في الشيشان خلال الحرب الأولى، وأن المال عبر المصادر المالية السعودية كان يتم توجيهه إلى أودوغوف. وكان هناك أيضا أنباء مؤكدة بأن تمويل حملته الانتخابية في أول انتخابات رئاسية في عام ١٩٩٧ كانت من السعودية. وبعد فرارهم من الشيشان في عام ١٩٩٩، سافر أودوغوف بصورة متكرّرة إلى السعودية ومصر وقيل أنه تلقى أموالاً طائلة من البلدان العربية، بحسب جولي ويلهيمسين في بحثها حول أسلمة الحركة الانفصالية الشيشانية.

تنبّه الروس، وفيلادمير بوتين على وجه الخصوص الذي كان يتولى الاشراف على جهاز الاستخبارات الروسية، إلى أن ثمة مشاركة سعودية فاعلة بالسلاح، والأفراد، والأفكار في الحرب الشيشانية الأولى والثانية، الأمر الذي جعل نعت «وهابي» مكافئاً للمتطرف الاسلامي.

ما يلزم إلفات الانتباه إليه، أن الانخراط السعودي في الحرب الشيشانية لم يكن مصمّماً لاستقلال الشيشان، أو حتى لإقامة دولة إسلامية، وقد طلب الرئيس الشيشاني الأسبق سليم خان ياندارბييف (أغتيل في الدوحة، قطر، في ١٣ فبراير٢٠٠٤) مساعدة السعودية لإقامة دولة اسلامية في سبتمبر ١٩٩٦، ولكن السعودية رفضت الطلب، وعارضت استقلال الشيشان عن روسيا، وتأسيس دولة إسلامية في الشيشان.

وهذا الطلب تكرّر أيضاً في حالة البوسنة والهرسك، حيث أظهرت وثائق أميركية عن مراسلة بين الملك فهد وأمين عام الأمم المتحدة الأسبق بطرس بطرس غالي يوصي فيها بعدم السماح لإقامة دولة إسلامية في البوسنة والهرسك.

على أي حال، فإن القدر ساق السعوديين لأن يكون المسؤول الروسي الذي كان يتعامل مع ملف المقاتلين السعوديين في الشيشان هو نفسه الذي يدير الدولة الروسية ويتصدى لملف العلاقات مع السعودية.

لقد أدرك بوتين الفرص والمخاطر في العلاقة مع السعودية. وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وضلوع ١٥ سعودياً من أصل ١٩ انتحارياً في الهجمات، أقنع الأميركيين بأنهم والروس معاً ضحايا للإرهاب الذي تقوده السعودية. ولكن الاحتلال الأميركي للعراق في نيسان ٢٠٠٣ أعاد خلط الأوراق، ووجدت روسيا نفسها والسعودية في جبهة واحدة، وهو ما أظهرته مواقف البلدين في زيارة عبد الله في إيلول من العام نفسه في الملف العراقي. في ذلك العام أيضاً، بدا أن خصماً مشتركاً يضرب البلدين، متمثلاً في تنظيم القاعدة، ما ساعد على مزيد من التقارب والتنسيق، الى جانب ملفات أخرى مثل النفط.


سامر السويلم (خطاب) في الشيشان: تمويل سعودي للحرب

سلسلة زيارات قام بها المسؤولون السعوديون في العقد الأول من الالفية الجديدة، بدأت بزيارة وزير الخارجية السابق سعود الفيصل الى موسكو في ١٢ إبريل ٢٠٠٢ لعرض المبادرة السعودية حول السلام في الشرق الأوسط، ثم عاد الفيصل إلى موسكو مجدداً في الثامن من مايو عام ٢٠٠٣ للتحضير لزيارة ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله إلى روسيا، والتي تمّت في ٣ سبتمبر ٢٠٠٣. وكانت أول زيارة على هذا المستوى منذ تأسيس العلاقة في العام ١٩٢٦، وناقش خلالها مع الجانب الروسي أغلب الموضوعات المطروحة على مائدة سلمان ـ بوتين، ومن بينها: تمديد التعاون التجاري والاقتصادي وبصورة رئيسية في مجالي النفط والغاز، ومبادرة الرئيس الروسي، ميدفيدف، بانضمام الوفد الروسي لفعاليات منظمة المؤتمر الاسلامي، والحرب ضد الارهاب الدولي، وإعادة إعمار العراق ما بعد الحرب، والتسوية في الشرق الأوسط.


ولي العهد عبدالله في موسكو ولكن.. بلا فائدة!

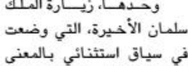
ومن أبرز نتائج الزيارة، أن الطرفين نجحا في ضبط تدفق النفط في الأسواق العالمية بهدف رفع الاسعار والذي أدّى الى انعاش اقتصاد البلدين، حيث بدأت أسعار النفط بالإرتفاع وتواصلت على هذا النحو لأكثر من عقد من الزمن، أي منذ العام ٢٠٠٤ ـ ٢٠١٤ (باستثناء بعض الهبوطات العابرة)، حين قرّرت الرياض من جانب واحد إغراق الأسواق العالمية بكميات كبيرة من النفط ما أدى الى انهيار الأسعار بهدف ضرب الاقتصادين الروسي والإيراني. ولذلك، فإن عودة عملاقي النفط للتفاهم مجدّداً حول آلية العرض والطلب تهدف الى رفع الاسعار مجدّداً، وسوف يكون لها أثر فاعل في الأسواق العالمية.

(٢)

التوقيت الاستثنائي لزيارة متأخرة

لأول وهلة يمكن القول، أنها زيارة يمكن وصفها بالجدّية هذه المرة، وأنها صمّمت لتحقيق «نتائج»، وأنها تنطوي على جرعة تفاؤل مرتفعة جداً، والتوقّعات منها عالية، حسب وكالة تاس الروسية. لقد تأجّلت مراراً، وجرى الحديث عنها مراراً، وأحيط بها غيمة سوداء مرة وبيضاء أخرى من الشائعات..

في الزيارات السابقة التي قام بها المسؤولون السعوديون الى روسيا، كانت الحصيلة النهائية تأتي دائماً زهيدة، إن لم يكن مخيبة. على سبيل المثال، قام الأمير بندر بن سلطان، رئيس مجلس الأمن الوطني ورئيس الاستخبارات العامة سابقاً، بسلسلة زيارات الى روسيا، وأعقبه محمد بن سلمان، ولي ولي العهد حينذاك، وكانت تتعلق بمقايضات محدودة وذات طابع محدود (صفقة في الاقتصاد مقابل صفقة في السياسة)، أي في الترجمة العملية صفقة أسلحة مقابل التخلي عن إيران أو الأسد. وباستثناء زيارة إبن سلمان الأخيرة، في مايو ٢٠١٧، التي أرست معالم مرحلة جديدة في العلاقة مع موسكو، فإن الزيارات السابقة كانت دائماً تنتهي الى الفشل.



بوتين: هل انت جاد هذه المرّة؟

وحدها، زيارة الملك سلمان الأخيرة، التي وضعت في سياق استثنائي بالمعنى المطلق للكلمة، فقد وصفها وزير الخارجية سيرغي لافروف بأنها «حدث حقيقي حقاً»، فيما أسبغت المتحدثة باسم المجلس الفيدرالي فالنتينا ماتفينكو «آمالاً كبيرة» على وجود الملك في موسكو، فيما كتب القائد الشيشاني رمضان قاديروف في حسابه على الانستغرام «الحوار بين روسيا والسعودية سوف يساعد في حل النزاعات الكبرى». وبناء على مصدر دبلوماسي، فإن الزيارة الأولى لضيف رفيع المستوى في تاريخ العلاقات الثنائية قد جرى العمل عليها منذ عدّة سنوات. وقد تم اختيار جدول أعمال المفاوضات بعناية، وتمّ أخذ العامل الجيوسياسي في الإعتبار. الآن، وفقاً للمصدر، كل شيء يعتمد على الاتصالات الشخصية لرؤساء الدول.

تحضيرات الزيارة كانت على درجة كبيرة من الأهمية، فقد جرى التمهيد لها في زيارة وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في ١٠ سبتمبر ٢٠١٧، الى السعودية التقى خلالها بالملك سلمان، وأجرى أحاديث مستفيضة مع نظيره السعودي للإتفاق على جدول أعمال زيارة الملك الى موسكو، الذي لم يحسم بصورة نهائية.

وبرغم من الحديث عن زيارة سلمان الى روسيا منذ عامين الا أن موعد الزيارة لم يقرر حتى بعد زيارة لافروف الى المملكة، ما يشي بوجود تباين في وجهات النظر حيال أجندة الزيارة وجدول أعمالها. وبرغم من الدفء الملحوظ في العلاقات، فكانت لا تزال هناك خلافات بين البلدين. من نافلة القول، فإن الشائعات التى تقول ان الملك السعودى على وشك زيارة موسكو تتداول بالفعل فى وسائل الاعلام ودوائر الخبراء تقريباً منذ عام ١٩٩١ عندما استأنفت روسيا والسعودية العلاقات الدبلوماسية بينهما.

وتلمح تفاصيل المؤتمر الصحافي الذي عقده لافروف والجبير في جدة في ١٠ سبتمبر ٢٠١٧ الى أهمية وحساسية اللحظة في منطقة الشرق الأوسط والعالم. فكان لافروف والجبير يتجهان نحو زوايا حادة، في محاولة لإثبات الإجماع حتى في الأمور التي يختلفان فيها، لا سيما في المسألة السورية. وبرغم من إصرار الرياض على تغيير النظام في دمشق، ولكن ليس على الفور، في حين أن موسكو مقتنعة بأن السوريين وحدهم من يقرر ذلك. واتفق لافروف والجبير على إقامة مناطق لتخفيف التوتر في سوريا، وتوحيد المنصات الثلاث للمعارضة السورية – الرياض والقاهرة وموسكو ـ في وفد واحد. وأكّد الجبير، بالتضامن مع نظيره الروسي، على احترام كل من السعودية وروسيا القانون الدولي، ومبدأ السيادة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية. وفي الوقت نفسه، لم يخف الجبير ولافروف التباين في مقاربة الأزمة الخليجية حول قطر.

جدول أعمال زيارة سلمان شمل ملفات رئيسية مشتركة. ومما لا شك فيه أن ملف النفط كان في رأس الجدول، انطلاقاً من الإتفاق بين بلدان أوبك في نهاية ٢٠١٦، لناحية تخفيض الانتاج، والظروف المحتملة لإطالة أمده إلى ما بعد عام ٢٠١٨.

في ظروف الزيارة، بالمقارنة مع زيارة محمد بن سلمان في ١٧ مايو ٢٠١٥ الى موسكو حيث كانت لا تزال كفة الميدان السوري تميل لصالح الجماعات المسلحة مثل «داعش» و«النصرة»، هو ما جعل الموقف التفاوضي السعودي قوياً، وبني عليه ترتيبات لمرحلة «ما بعد الأسد». ولكن الحال تبدّل منذ التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا. عادل الجبير كشف في يوليو ٢٠١٦ من بروكسل عن تغييرات في المملكة السعودية المحافظة. فقد مدّ الجبير غصن الزيتون الى الروس، في الوقت الذي كان يصعّد اللهجة العدائية ضد ايران. وقال الجبير حرفياً: «نحن على استعداد لإعطاء روسيا حصة في الشرق الأوسط، والتي سوف تجعل من روسيا أشدّ قوة من الاتحاد السوفييتي» وأضاف «إننا نختلف على سوريا، وليس على اللعبة النهائية، ولكن كيف نصل الى هناك». وخلص الى أن «أيام الاسد معدودة، دعنا نبرم صفقة حيث نقدر على ذلك».

ولكن زيارة الملك سلمان الى موسكو تأتي في ظروف مختلفة تماماً، وبات على الجانب السعودي القبول بالمتغيّر الميداني الكبير، والقبول بمعادلة سياسية يشكل «بقاء الأسد» ركيزة أساسية فيها. وفي الحالة السورية، تمحور الحوار حول خلق مناطق لتخفيف التوتر، وإشراك المعارضة المعتدلة في جولة المفاوضات في أستانا أواخر أكتوبر ٢٠١٧.



لافروف والجبير:
خضوع سعودي في أزمة سوريا

تسعى السعودية الى ضمان حصتها في التسوية السورية القادمة، بعد تفكك التحالفات السابقة التي كانت تضم تركيا وقطر، ووجود مساحات واسعة تحت سيطرة الجماعات المسلحة.

على مستوى الآمال المعقودة على نتائجها بين البلدين، كتبت صحيفة (كومرسانت) مقالة بعنوان (انتصار الملك) في ٥ أكتوبر ٢٠١٧ أن التوقعات من زيارة سلمان الى موسكو كانت مرتفعة للغاية، بما يشمل التعاون في مجال التقنيّة العسكرية. وبحسب الصحيفة فإن احتمالات إبرام مجموعة من عقود الأسلحة تزيد قيمتها على ٣ بلايين دولار، مما يعني تسليم منظومات صواريخ مضادة للطائرات من طراز S–٤٠٠ إلى الرياض، تعتمد على نتيجة المفاوضات.

وفي كل الأحوال، فإن التقارب السعودي الروسي يرمز الى تحوّل سياسات

بين الطرفين. السعودية من الناحية التاريخية هي حليف للولايات المتحدة، خصم روسيا، والشريك الرئيسي في اكتشاف وانتاج الخام في المملكة. لا شك أن الطفرة الأخيرة في انتاج النفط الصخري الأميركي أوجد نقطة تحوّل، والذي يعزز فرص التعاون بين الرياض وموسكو على قاعدة الدفاع عن المصالح المشتركة ضد القادم الجديد الى السوق النفطية العالمية، والعمل معاً للتوصل الى اتفاق على تخفيض الانتاج.

وبرغم من تحسّن العلاقات بين الرياض وواشنطن في عهد الرئيس دونالد ترامب، فإن رهانات السعودية في مجالات النفط والسياسة تبقى من خلال بناء علاقات أوثق مع روسيا التي برزت كقوة رئيسة في الشرق الأوسط على مدى السنوات القليلة الماضية.

(٣)

الاقتصاد يجمع رأسي بوتين وسلمان

يبدي الجانب الروسي تفاؤلاً في تطوير العلاقة مع السعودية الى مستوى الشراكة الاقتصادية في الحد الأدنى، فيما تسعى الرياض الى توسيع دائرة علاقاتها الخارجية مع روسيا، بعد أن أصبحت قوة فاعلة في الشرق الأوسط، وقادرة على التأثير في ملفات سوريا، والعراق، ولبنان، واليمن، كما في ملفات النفط، والأمن الاقليمي، والصراع العربي الاسرائيلي.

يعوّل الروسي كما تعكس تحليلات الصحافة الروسية على فصل جديد في العلاقة مع الرياض بعد تنصيب محمد بن سلمان ولياً للعهد، الذي يبدي حماسة في التقارب مع روسيا، وتوظيفه في الخطة الاستثمارية السعودية لمرحلة ما بعد النفط.

وقد نجحت موسكو عبر المنتدى الاقتصادي الدولي في سان بطرسبرج بين الأول والثالث من يونيو الماضي في استقطاب اهتمام المسؤولين السعوديين، حيث شارك وزير الطاقة السعودي خالد الفالح في المنتدى، بعد اسبوع من اتفاق منظمة البلدان المصدرة للبترول أوبك على تمديد تخفيضات الإنتاج لمدة تسعة أشهر بالتعاون مع منتجين من خارج المنظمة من بينهم روسيا.

في زيارة الفالح الى موسكو تلقى تأكيداً من الرئيس الروسي بوتين بالتزام بلاده بسقف الانتاج المتفق عليه مع دول أوبك. في المقابل، لم يستبعد الفالح أن يعود الروس إلى المملكة باستثمارات أكبر وأعمق من مشروع (لوكسار) في صحراء الربع الخالي، الذي انتهى دون أن يبدأ الإنتاج من الغاز الطبيعي، والذي كان المشروع الوحيد المشترك بين البلدين. ونقلت وكالة (تاس) الروسية للأنباء عن الفالح قوله إن السعودية ستدرس الاستثمار في شركة «أوراسيا دريلينغ»، ومن المحتمل أن يكون لـ«أرامكو» و«أوراسيا» مشروع مشترك يقدم الخدمات النفطية.

يشمل التعاون الروسي السعودي أيضاً، إنشاء محطات للطاقة النووية المتجدّدة. وقد أرسلت شركة روساتوم الحكومية مقترحات الى الجانب السعودية لبناء معمل للطاقة النووية في السعودية، بحسب أليكسي ليخاتشيف، رئيس الشركة. وقال «اتمنى التوصّل الى اتفاق على التعاون في مجال الطاقة النووية السلمية ومجالات أخرى، مثل المصادر المتحرّكة للطاقة النووية، الصغيرة والمتوسطة الحجم، والبحث العلمي».

مجالات اقتصادية حيوية ترسم اليوم مستقبل الشراكة الروسية السعودية، من بينها الاستثمار في قطاع الطاقة، ويشمل الطاقة النووية، والسلاح. وتنتج السعودية وروسيا ما يقرب من ربع النفط العالمي، وأن الاتفاق بينهما يترك تأثيراته المباشرة على سوق النفط وعلى معدل الأسعار.

في القطاع النفطي، تتطلع الشركات الروسية للاستثمار في مجال تطوير النفط والغاز، على غرار الاتفاق الذي منح لشركة (Lukoil) في ٢٠٠٧، أي قبل زيارة بوتين للرياض في فبراير من العام نفسه لتطوير حقل الغاز الطبيعي في الربع الخالي، بعد فشل المفاوضات بين الرياض والشركات البترولية الغربية لناحية تطوير حقول الغاز في السعودية.

لابد من الإشارة الى أن الاستثمار السعودي في إنتاج الغاز الروسي يعكس مشروعاً مشتركا غير ناجح في وقت سابق عندما أمضت شركة لوكويل الروسية أكثر من عقد من الزمان في محاولة لتطوير رواسب الغاز في منطقة الربع الخالي.

تطمح السعودية مع اقتراب موعد طرح ارمكو للاكتتاب العالم، وبحسب خالد الفالح وزير الطاقة، حيث تم تحديد منتصف ٢٠١٨ لدخول القرار حيز التنفيذ، الى الاستثمار في شركات النفط الروسية، مثل (يوراسيا) بهدف تخفيض كلفة التنقيب والانتاج في أرامكو.

ويخطط صندوق الاستثمار الروسي للتوقيع على ثلاث اتفاقيات حول إنشاء صناديق جديدة مع صندوق السيادة السعودي – صندوق الاستثمار العام، وتقدر أصوله الآن بـ ١٨٣ مليار دولار، يمكن أن ينمو العام إلى ٢،٥ تريليون دولار بسبب الاكتتاب العام في أرامكو السعودية في منتصف ٢٠١٨. ومن المقرر أن يتم إنشاء صندوق استثماري للطاقة تبلغ قيمته مليار دولار، كما إن الأطراف تعلن عن إنشاء منصة روسية – سعودية للاستثمار في التكنولوجيا الفائقة. وسيبلغ حجم استثمارات الجانب السعودي ١ مليار دولار. يذكر أن الصندوق قد وعد في يونيو ٢٠١٥ باستثمار ١٠ مليارات دولار في المشاريع الروسية التي كانت صفقة قياسية للصناديق السيادية في العالم، وقد تم التوقيع على الاتفاقية خلال زيارة محمد بن سلمان في مايو ٢٠١٧ إلى روسيا. ويجري إنشاء ثلاثة صناديق جديدة في إطار هذا المبلغ، وقد حدد البرنامج.



وزير النفط في موسكو.. استثمارات في الطاقة

وكان لقاء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الأمير محمد بن سلمان، ولي ولي العهد حينذاك، وقد صحب معه وفداً كبيراً من الوزراء وجرى التداول في سبل التعاون المشترك في مجالات الطاقة، والتسلح، والاستثمار في مجال الغاز. وأبرم الجانبان ٦ اتفاقيات «استراتيجية»، تشمل بناء ١٦ مفاعلاً نووياً، وقّعها عن الجانب الروسي سيرغي كيريينكو، رئيس وكالة «روس آتوم»، وتوقّع أن تصل قيمة الاتفاقية إلى ١٠٠ مليار دولار، كما شملت شراء منظومات صواريخ (إسكندر)، وبرنامجاً للتعاون في مجال الطاقة، في ظل حاجة السعودية للتنسيق التام مع روسيا لضبط آلية العرض والطلب وصولاً الى رفع أسعار النفط، وتالياً معالجة أزمة عجز الموازنة السعودية المتراكم منذ أكثر من عامين. وعلاوة على ذلك، فإن زيارة إبن سلمان رسمت خارطة الطريق لزيارة الملك سلمان الى موسكو.

لا بد من الإشارة الى أن العلاقات التجارية بين السعودية وروسيا لم تتطوّر بشكل كبير حتى مع كثافة زيارات الأمراء السعوديين الى موسكو برغم تحسن العلاقات منذ ٢٠٠٥. وإن اجمالي التبادل التجاري بين البلدين حتى عام ٢٠٠٧ لم يتجاوز مليار دولار. وفي مارس ٢٠٠٧، وقّعت شركة (Stroitransgaz) عقداً بمدّ شبكة أنابيب نفط بطول ٢١٧ كم لحساب شركة أرامكو، ولكن لم تتجاوز قيمة الصفقة ١٠٠ مليون دولار. وفي يناير ٢٠٠٨ حصلت شركة القطارات الروسية

(RZD) على صفقة بقيمة ٨٠٠ مليون دولار لبناء سكة حديد بطول ٥٢٠ كم في المملكة، ولكن الأخيرة ألغت الصفقة بعد شهور أربعة من التوقيع.

يلفت اليكسي مالاشينكو، رئيس معهد أبحاث «حوار الحضارات»، إلى أن التعاون الاقتصادي بين موسكو والرياض، على الرغم من الإعلانات المتكررة لتقارب المصالح، لا يزال عند مستوى منخفض. ولا يعتقد بأن البيانات الحالية ستؤدي إلى اختراق بسبب الخلافات المستمرة في السياسة الخارجية (الرياض هي حليف واشنطن الأكثر أهمية في المنطقة). ووفقاً لوزارة الخارجية الروسية، فإن التبادل التجاري الاجمالي بين روسيا والمملكة السعودية بحلول نهاية عام ٢٠١٦ النصف تقريباً وصل إلى ٤٩١,٧ مليون دولار فقط. وفي النصف الأول من هذا العام، بلغت قيمة التجارة ٣٣٢ مليون دولار. وتبلغ حصة المملكة السعودية في التجارة الخارجية للإتحاد الروسي ٠,١٪.

وعليه، فإن زيارة الملك سلمان سوف تشكّل اختباراً عملياً لمدى جدّية الرياض في العلاقة مع موسكو، خصوصاً مع منسوب التوقعات المرتفع للغاية في المجال الاقتصادي على وجه خاص. وبحسب أرتيوم مالوف، كبير المحللين في مركز سكولكوفو للأعمال التجارية، فإن سوق خدمات حقول النفط في المملكة السعودية ممثلة بشكل رئيسي من قبل الشركات الأجنبية مثل شلمبرجير، وهاليبرتون، وبيكر هيوز، وويثيرفورد.

ووفقاً لمالوف، فإن السلطات السعودية تفكّر في توطين الإنتاج، على وجه الخصوص، إذ تعتزم أرامكو السعودية شراء ٧٠٪ من الخدمات والمعدات من خدمات حقول النفط في البلاد بحلول عام ٢٠٣٠. وترجح كفة روسيا في تكنولوجيا الانتاج المرتبطة بمعدات النفط والغاز، بسبب التجربة الطويلة، وكذلك التخزين، وخطوط الأنابيب. ولكن يعتقد أرتيم مالوف»فيما يتعلق بهذه الخدمات، مثل التنقيب والحفر، يبدو أن التعاون الواسع النطاق في هذه المجالات غير مرجح».

(٤)

هل يدخل السلاح الروسي الى السوق السعودية؟

بعد أربعة شهور من إبرام عقود تسلح مع إدارة ترامب بقيمة ٣٥٠ مليار دولار، إضافة الى ١١ مليار دولار يجري استثمارها في البنية التحتية داخل الولايات المتحدة على مدى عشر سنوات، فإن زيارة الملك سلمان الى موسكو تحمل تباشير، وإن محفوفة بالشكوك، لانعاش سوق السلاح الروسي..

شركات السلاح الروسية لها حصّة، من الناحية النظرية على الأقل، في برنامج الاستثمارات في السعودية، ويجري الحديث حول افتتاح مصانع للسلاح الروسي في السعودية، من بينها تصنيع رشاش (كلاشينكوف) المشهور.

فيما يرتبط بصفقة منظومة صواريخ S-٤٠٠ الروسية المتطوّرة والتي أعلن عنها في ٥ أكتوبر الجاري، فإن السعودية تعد الزبون الثالث بعد الصين وتركيا. وكانت الصين وقّعت على عقد في سبتمبر ٢٠١٤، فيما أبرمت تركيا في سبتمبر ٢٠١٧، وسوف تبدأ بكين بالحصول على هذه الأنظمة بعد عام ٢٠١٨، وأنقرة بعد عام ٢٠١٩. ولن يبدأ انتاج المنظومة الخاصة بالسعودية الا بعد حصول (روزوبورونيكسبورت) المعنية بتصدير الأسلحة الروسية للخارج، على الدفعة الأولى من ثمن الصفقة، وبحسب أحد المسؤولين: «لا ينبغي أن يكون هناك أي سوء فهم بيننا».

لقاء الملك سلمان مع وزير الدفاع وفريق مبيعات الأسلحة الروس ينبيء، على ما يبدو، عن قاعدة من الثقة المتبادلة غير متينة، وكأن الفريق العسكري الروسي أراد أن يسمع كلمة الفصل في المشتريات السعودية من فم الملك مباشرة، بسبب التجارب السابقة غير المريحة للجانب الروسي، حين كان يسمع الأخير وعوداً فارغة ما تلبث أن تتبخر..

سيرغي تشيميزوف، رئيس روستيخ (أكبر شركة حكومية متخصصة في عملية تصميم وتصنيع وتصدير المنتجات الصناعية ذات التقنيات العالية والطابعين المدني والعسكري وذات الاستخدام المزدوج وتضم ما يزيد على ٧٠٠ شركة)، قال بأن «المملكة وقّعت مع الشركة الروسية على اتفاق أولي في مجال التعاون العسكري التقني بقيمة ٣,٥ مليار دولار». السعودية اشترطت نقل التكنولوجيا العسكرية الى داخل السعودية لتمرير الصفقة، وبناء مصنع لإنتاج بعض الأسلحة الروسية فوق أراض سعودية. ولفت الى أن «مفعول العقد يبدأ، عملياً، إذا شاركناهم بجزء من التقنيات وبدأنا الإنتاج في أراضي المملكة. نحن نفكر في ما يمكننا مشاركته معهم. وأبسط شيء هو بناء مصنع لإنتاج الأسلحة الصغيرة، على سبيل المثال، بندقية كلاشنيكوف المعروفة."

تشيميزوف أبدى شكوكاً في إتمام الصفقة، بناء على تجارب الصفقات السابقة بين الطرفين إذ لم يكن مطمئناً على الإطلاق «وقّعنا عقوداً بقيمة ٢٠ مليار دولار مع المملكة السعودية قبل خمس سنوات، لكنها لم تكن مجدية لأن الصفقة لم تحرز تقدّماً أبعد من إبداء النوايا. لم تشتر الرياض أي شيء في ذلك الوقت."

ويأتي الاتفاق المبدئي بين الرياض وموسكو عقب لقاء عقد بين الفريق أول الكسندر فومين، نائب وزير الدفاع الروسي، مع الفريق الركن فياض حامد الرويلي، نائب رئيس هيئة الأركان العامة في الجيش السعودي، وإبداء المملكة اهتمامها بشراء أحدث الأسلحة الروسية. وقد جرى اللقاء على هامش مؤتمر موسكو السادس للأمن الدولي في نيسان ٢٠١٧. وقال فومين خلال اللقاء إن التعاون العسكري الدولي بين البلدين شهد تكثيفاً كبيراً خلال السنوات الماضية، وأكّد أن روسيا تدرس قائمة كبيرة بأنواع الأسلحة الحديثة التي عبّرت الرياض عن الاهتمام بشرائها.

في المقابل، أكّد المسؤول الروسي تصميم وزارة الدفاع الروسية على التطوير المستدام للتعاون الثنائي بين روسيا والسعودية في المجال العسكري التقني، مضيفا أن الجانب الروسي يأمل في مواصلة الحوار المفتوح والصريح حول كافة المسائل التي يهتم بها الطرفان، بحسب (روسيا اليوم) في ٢٤ نيسان الماضي. وتطمح السعودية للحصول على أنظمة صواريخ مضادة للدبابات المطوّرة، وقاذفات قنابل يدوية أغس -٣٠، ويخطط السعوديون «لاتقان دورة كاملة من التجمع والانتاج» وصولاً الى «توطين» السلاح الروسي في الداخل السعودي، أي تصنيعه محلياً. وكان السعوديون يطالبون بعملية نقل التكنولوجيا العسكرية في إطار ابرام العقود، مما يخلق صعوبات في المفاوضات، أما اليوم فإن الاتفاقيات تجري على أعلى المستويات «وستساعد في حل هذه القضية».



هل توقع السعودية صفقة اس ٤٠٠ الروسية، ام مجرد وعود؟

وبفعل التجارب السابقة، فإن مسؤولي الصناعة العسكرية الروسية مرتابون إزاء الطريقة السعودية في إبرام الصفقات، ولذلك أثاروا أكثر من مرة أسئلة حول التزام السعوديين بما يقولون. ويذكر المحاورون الروس لصحيفة (كومرسانت) الروسية أن مذكرة التفاهم الروسي السعودي ليست ملزمة قانوناً، ولكنهم يأملون في أن «يحتفظ الشركاء السعوديون بالإهتمام الذي أظهروه خلال الاجتماع بين الرئيس والملك»، فيما امتنع المسؤولون في «روزوبورونيكسبورت» والخدمة

الاتحادية للتعاون العسكري التقني عن الإدلاء بتعليقات إضافية.

مدير مركز تحليل الاستراتيجيات والتكنولوجيات رسلان بوخوف يشير إلى أن كلمة الملك سلمان أمام بوتين تستحق مفاوضات مطولة من الخبراء. وقال «هذه المرة، حتى وان كان السعوديون نفوا مرتين اتفاقات شراء الاسلحة، فاذا لم تكن هناك كارثة، فانهم سيبقون على كلامهم». ويرى أن بناء مصنع لإنتاج البنادق الهجومية من طراز كلاشينكوف أمر معقول، نظراً لأن الأسلحة الصغيرة الخفيفة للمملكة السعودية هي مادة قابلة للاستهلاك وتستفيد منها الرياض. ولكن من الصعب الحديث عن التوطين الجزئي لـ S–٤٠٠ حتى في المدى الطويل الأجل، ويعتقد السيد بوخوف: «هناك تقنيات في هذا النظام لا ينبغي تقاسمها حتى مع الشركاء الأكثر ثقة»، بحسب صحيفة (كومرسانت) في ٦ أكتوبر الجاري.

وقد سعت موسكو على مدى عشر سنوات لدخول سوق الأسلحة في الرياض. ونوقشت حزم العقود بقيمة ٢٠ مليار دولار، ولكنها لم تصل أبداً إلى عقود ثابتة.

وبحسب سيرجي تشيميزوف، رئيس روستيخ، فإن هذا عامل جيوسياسي: «إذا سمّينا الأشياء بأسمائها الخاصة، فإن السعوديين لعبوا معنا، لا تزوّدوا إيران بأنظمة الدفاع الجوي S–٣٠٠ وسنشتري أسلحتكم – الدبابات وغيرها من المعدات.» وبالطبع لم تلتزم موسكو بشروط الرياض، وقامت بتزويد طهران بأنظمة الدفاع الجوي هذه، ما دفع السعودية للتراجع عن إتمام الصفقة.

في المفاوضات التي جرت بين بندر بن سلطان في إيلول ٢٠٠٨، ومسؤولين من الخدمة الفيدرالية الروسية للتعاون العسكري ومن روسوبورناكسبورت (مصدر الأسلحة الروسية)، حول شركاء أنوع من الاسلحة تشمل دبابات، وطائرات هيلوكبتر، وصواريخ ولكن كل المفاوضات انتهت الى لا شيء، تماماً كما لم يتم التوصّل الى أي اتفاق في قطاع الطاقة. أما في زيارة الملك سلمان، فإن الجانب السعودي أبدى جديّة زائدة في بناء علاقة متينة مع الجانب الروسي من خلال سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية والعسكرية الممهدّة لشراكة طويلة الأجل.

(٥)

روسيا والعظم الايراني في البلعوم السعودي

ظلّ الجانب الروسي يتطلع لسنوات طويلة خلت نحو صفقات عسكرية مع السعودية، وكذلك فتح الأبواب أمام الشركات التجارية الروسية للعمل في المملكة النفطية. ولكن وبحسب تقارير صحافية روسية في ٢٠٠٨، أن الرياض تربط مشتريات السلاح الروسي بنأي موسكو عن طهران.

وكان الشرط السعودي بابتعاد موسكو عن طهران حاضراً في كل زيارات المسؤولين السعوديين الى روسيا. فقد بدا وزير الخارجية السابق سعود الفيصل واضحاً في زياته الى موسكو في فبراير ٢٠٠٨ بأن المملكة سوف تمنح عقود سلاح سخية لروسيا، على شرط الحد من التعاون العسكري مع ايران. وخلال زيارة الأمير بندر بن سلطان الى العاصمة الروسية في يوليو ٢٠٠٨، أعاد المطالب السعودية الى كل من ميدفيدف وبوتين.




ضرب التحالف الايراني الروسي- هدف سعودي

وبحسب صحيفة (Kommersant) الروسية، في لقاء سعود الفيصل مع بوتين في فبراير ٢٠٠٨، نقل رسالة شخصية من الملك عبد الله، إذ عبّرت الرياض عن قلق إزاء تعاظم نفوذ إيران في الشرق الأوسط. واقترحت سلطات المملكة بأن على موسكو تخفيض منسوب تعاونها مع طهران. في المقابل، فإن السعودية سوف تمنح الجانب الروسي عقوداً سخية. في حقيقة الأمر، أن المطلوب من روسيا كان التخلي عن شريكها الرئيسي في الشرق الأوسط.

ولكن رئيس الوزراء الروسي حينذاك، فلاديمير بوتين، كان واضحاً بأن روسيا ترفض القيام بهذا الشيء. وكما يظهر، فإن كل طرف كان يأمل تنازل الآخر، ولم يحصل ذلك طيلة السنوات الماضية، ولكن في زيارة سلمان الى موسكو حصل التنازل من الجانب السعودي.

وبخلاف الحوارات السابقة، فإن الملف الإيراني كان له حصة في المفاوضات ولكن على قاعدة مختلفة تماماً، برغم من تفهّم القيادة الروسية لمخاوف الرياض من إيران، وبحسب مصادر صحيفة «كومرسانت» الروسية: «بالنسبة للرياض، كانت العلاقات الروسية الإيرانية عظماً في الحلق منذ عدة سنوات..»، ولذلك، أعدّت موسكو إجابة للرياض في هذا الصدد.

تجدر الاشارة الى أن الكرملين كان قد أعلن قبيل زيارة سلمان موسكو بأن التعاون مع المملكة السعودية لن يلحق أي ضرر بالعلاقات الروسية الإيرانية، لأن هذين المسارين متوازيان. وأعرب المتحدث باسم الرئاسة الروسية دميتري بيسكوف عن تقدير موسكو العالي لاتصالاتها التقليدية مع الرياض. ونقلت وسائل الإعلام الروسية، عن بيسكوف قوله إن هذه العلاقات «مكتفية بذاتها»، وتمثّل مساراً مستقلاً في سياسات روسيا الخارجية، إنطلاقاً من المكانة بالغة الأهمية التي تشغلها السعودية في المنطقة والعالم العربي برمته، مشدّداً على أن العلاقات مع الرياض لن تتأثر بالاتصالات الروسية الإيرانية.

وتتعاون موسكو وطهران بصوّرة وثيقة وفعّالة في القضية السورية، باعتبارهما ضامنين للهدنة، التي دخلت حيز النفاذ في ديسمبر ٢٠١٦، وأيضاً في تنسيق الحوار بين السوريين في محادثات أستانا. بطبيعة الحال، فإن السعودية تسعى، بكل ما في وسعها، إلى استبعاد طهران من التسوية السياسية السورية.

خلاصة

أظهر الطرفان السعودي والروسي حماسة فائقة لناحية بلوغ العلاقات الثنائية مستوى جديداً، ولا شك أن المشتركات مصالح وأخطاراً تجعل التقارب بين الرياض وموسكو شبه حتمي. على خلاف العهود السابقة، فإن كثافة الزيارات السعودية الى موسكو في غضون العامين الأخيرين تنبيء عن رغبة جديّة في بناء شراكة اقتصادية وعسكرية مع روسيا.



سعود الفيصل لموسكو: عقود سخية مقابل التخلي عن طهران

قد لا تتفق موسكو والرياض في عدد من الملفات السياسية في المنطقة، وعلى رأسها سوريا وإيران، وإلى حد ما قطر، ولكن هي تباينات قابلة للتجميد، أو حتى التجاوز، في مقابل مصالح اقتصادية واستراتيجية حيوية وعاجلة.

في نهاية المطاف، إن فصلاً جديداً ومفصلياً قد بدأ في العلاقات السعودية الروسية، يبدأ في الاقتصاد وقد لا ينتهي بالسياسة، ولكن ذلك كله مرهون بالمتغيرات الجيوسياسية في الشرق الأوسط.

الدكتور سلمان آل سعود!

محمد شمس



وأخيراً.. أول ملك سعودي في موسكو!

عامان والملك سلمان يتجاهل دعوة بوتين لزيارتها، رغم أن الأخير زار الرياض.

كالعادة جاءت الرياض متأخرة، وتحت ضغط الهزيمة السياسية على الصعيد الإقليمي، وهي تواجه لاعبين جدد في منطقة الشرق الأوسط، منتصرين في سوريا والعراق ولبنان، قد يغيرون خريطة المنطقة قريباً.

لم تكن الرياض تعير موسكو أهمية، الى أن صحت على حضور روسي مكثّف، ورأت بأم عينها كيف ان الدول الاقليمية ـ وأكثرها ضمن الحلف الأمريكي ـ تتسابق للتنسيق مع بوتين: الأردن، مصر، وحتى الكيان الصهيوني نفسه.

روسيا ليست خياراً سعودياً. هذا أمرٌ مفروغ منه.

والأمراء السعوديون كانوا على الدوام ينظرون باستعلائية الى روسيا، ويشعرون بالإكتفاء والإمتلاء من أنهم يتحالفون مع (الغرب) القوي والمتطور. وطالما تفاخر الأمراء بأنهم كانوا أداة قوية في تفكيك الإتحاد السوفياتي، وقد جرّبوا مراراً التعاطي عملياً مع روسيا كدولة ضعيفة وفقيرة يمكن ابتزازها، بل يمكن شراء مواقفها. جرّبوا هذا في عهد غورباتشيف بشأن الحرب على العراق لتحرير الكويت، ووعدوه بأربعة مليارات لم يعطوه سنتاً واحداً منها. وجرّبوا ذلك مرة أخرى مع بوتين في عهد الملك عبدالله، وفي عهد سلمان، محاولين تغيير موقف الروس من ايران ومن سوريا، عبر عروض مالية وصفقات قدمها بندر بن سلطان وغيره، ولكن ذلك لم يحدث.

لكن الرياض، متأثرة سلباً بتصاعد دور روسيا الإقليمي، صارت بحاجة اليها، وبات عليها تغيير موقفها وطريقة تعاملها لفائدة ترجوها أو ضرر تدفعه. على الأقل من زاوية: الحضور السعودي المتآكل حدّ النهاية في سوريا، ومن زاوية: وثاقةَ العلاقة الروسية الإيرانية حدّ التحالف؛ ومن زاوية الحاجة الى التنسيق مع موسكو بشأن (إقلاع) أسعار النفط التي آذت الرياض أكثر مما آذت غيرها.

زيارة سلمان الى موسكو إذن، حاجة واضطرار، ومن هنا نفهم لماذا جاءت متأخرة أصلاً، كونها جاءت على غير قناعة وبدون تخطيط استراتيجي.

وتبقى الزيارة اختباراً للعلاقات السعودية الروسية. فحتى الآن لا يمكن القطع مطلقاً بإقلاع العلاقات الى آفاق بعيدة؛ وقد تكون مجرد تكتيك سعودي، كما هي زيارات سابقة لمسؤولين ذوي مستوى رفيع. ومن المؤكد إن لم تحدث زيارة الملك سلمان فرقاً هذه المرة، فإن خيبة الأمل الروسية ستتعاظم الى حدّ فقدان الثقة في الحكم السعودي برمته.

منذ اللحظات الأولى لزيارة سلمان، طغى حدث توقف المصعد الذهبي لطائرته الموشحة بالذهب هي أيضاً، فاضطر الملك العجوز للنزول على قدميه؛ فأضحى خبر تعطّل المصعد الخبر اللافت الذي لاحق الزيارة؛ ما اضطر موسكو للتوضيح بأن المصعد جيء به من الرياض؛ وبالتالي فهي لا تتحمل المسؤولية.

الحدث الآخر، أن من استقبل سلمان في المطار هو نائب رئيس الحكومة، السفير السابق، ديمتري روزغين، واعتبر البعض ذلك انتقاصاً لسلمان، وهو ليس كذلك، فالبروتوكول الروسي يفرض استقبال الرئيس لضيوفه في الكرملين. وقد حاول معلقون قطريون السخرية بحفل الاستقبال في المطار وبتوقف المصعد وإظهار أن هيبة السعودية الدولية انحدرت الى أبعد الحدود. وقد استفزّ هذا بعض المعلقين السعوديين الى حد أن أحدهم قال: (الزّبّال بوتين، يبِيْ له عاصفة حزم، على استقباله الفاشل لابو فهد. تالله لو أعلنها ابو فهد حرباً على الروس، أننا نصلّي الفجر بُكْرَةْ في قلب موسكو)!

وفيما ركز الاعلام السعودي على الصور الدعائية للملك سلمان وزيارته في شوارع موسكو، والتي هي اعلانات مدفوعة الثمن سعودياً؛ وكذلك على صور تظهر احترام بوتين لسلمان، وكيف انه كان يصب له الشاي.. لا مانع من مشاجرة ومناكفة قطر كما قال أحدهم: (الملك سلمان نعمة. رجل يرفع الرأس. تخيّل لو يحكمك واحد اذا عارضته بكلمة سحب جنسيتك) في اشارة الى امير قطر. رد قطري: (إذا عارضته ـ أي الملك سلمان ـ بتنسحب روحك في السجن) وليس فقط الجنسية.

من جهة أخرى، اهتمت الصحف الأجنبية الغربية والعربية، كما المعلقون على مواقع التواصل الاجتماعي، بحاشية الملك، فقد اصطحب معه الفاً وخمسمائة شخص، ومائةً وخمسين طبّاخاً، وقرابة طنّ من الطعام حتى لا يجوع، هذا غير السيارات والأثاث والهدايا التقشفية الأخرى! والغريب انه رغم وجود الطباخين، فإن وجبات أخرى كانت تُنقل يومياً من الرياض لموسكو بالطائرات!

أما تعليقات المواطنين حول محتوى الزيارة فكان قليلاً؛ فقد كان يهم الكثير منهم الشكل، وكأنهم يعلمون النتائج: ادفع مالاً او اشتر سلاحاً.

سلمان الدوسري، رئيس تحرير الشرق الأوسط، رأى ان الرياض خرجت من زاوية التحالفات الضيقة، ويقصد التحالفات الحصرية مع الغرب، وكأن زيارة أولى انتجت تحالفاً استراتيجياً! ولتبرير شراء السلاح، تكررت جملة (توطين الانفاق العسكري)؛ او توطين التقنية العسكرية؛ في حين ان ما يجري مجرد بائع (ذكي) ومشتري (غَشِيْمْ).

العسكري المتقاعد إبراهيم آل مرعي، زعم ان روسيا تريد مالاً سعودياً فهذا هو غايتها من الزيارة، وهو مخطئ قطعاً؛ وفي المقابل فإن ما تريده الرياض هو حفظ أمنها الاقليمي. واستبشر آل مرعي بصفقة التسليح التي جرى التفاهم عليها (صواريخ اس ٤٠٠) وكذلك صفقة ثاد الأمريكية، وعاد فنقّ على موضوع (توطين التقنية).

الحدث الذي حاز اهتمام الاعلام الرسمي كما المهتمين على مواقع التواصل الاجتماعي، هو منح الملك سلمان شهادة دكتوراة فخرية من جامعة موسكوبية؛ وتعليق الملك سلمان على ذلك بقوله: (أنا الآن الدكتور سلمان)!

الملك الذي حاز نحو ١٤ شهادة دكتوراة فخرية، عددها الجمهور الموالي مبتهجاً، مع ان ملكهم لم ينه دراسة الإبتدائية. وبدأت جوقة الطبالين تشهد للقائد العظيم وتثني على ألقابه. أربعة هاشتاقات كانت بمناسبة الدكتوراة، تقول ان لقب الدكتور لم يضف شيئاً لسلمان، بل العكس؛ وان الملك يستحق جائزة نوبل، لأنه غير مجرى التاريخ. والطريف هو هاشتاق (الدكاتر، او الدكاترة سلمان)؛ فالطبّال لا يفهم قيمة الدكتوراة، والملك يختزل مجموعة من العلوم والفنون ودكتوراة واحدة لا تكفيه. وانشد فواز اللعبون، مادحاً:

تباهى بحرف الدالِ مُفتخرٌ
يوماً فأنتَ بكَ الدالاتُ تفتخرُ

الدكتوراة الفخرية تشبه قصائد المديح التي يلقيها الشعراء وهي لا تكلف شيئاً غير قيمة (الإطار) الذي توضع فيه. وقبل ايام من حصول سلمان على الدكتوراة في موسكو، كان ابنه محمد بن سلمان قد حصل على شهادة فخرية مماثلة من جامعة الامام في الرياض والتي تخرج وعّاظ ومتطرفي الوهابية؛ وهكذا صار الداشر دكتوراً ابن دكتور، كما سخر احدهم.

وأخيراً.. سقطت أسوار الوهابية

المرأة تقود سيارتها في السعودية!

خالد شبكشي

إقرار حق قيادة المرأة السعودية للسيارة، حدث كبير، ربما هو حدث تاريخي رغم صغر حجمه، لكنه ينبيء بتغييرات جذرية في أيديولوجيا الدولة ووجهتها، وإن لم يتوقع منه تغييراً في الجانب السياسي.

لقد أحدث الأمر الملكي بالسماح للمرأة السعودية بقيادة السيارة، تغييراً دراماتيكياً على الصعيد الاجتماعي، وفي المناخ العام للدولة. أحدث استرخاءً من جهة، وتحفّزاً للمزيد من جهة أخرى. لكن التيارات السلفية تعيش أحلك أيامها، وربما حدث لديها تحفّز لمقاومة مخنوقة، لم تظهر الا على شكل عنف (ربما كان داعشياً) حين قام أحدهم بهجوم على بوابات قصر السلام الملكي في جدة، في محاولة بائسة ويائسة، قد تكون مرتبطة بتحول هوية الدولة والتغييرات الجارية فيها على يد محمد بن سلمان ولي العهد تحديداً.

(١)

الدين في خدمة آل سعود

قرار قيادة المرأة للسيارة لم يكن أمراً دينياً، بل كان سياسياً بامتياز. أي أن آل سعود قرروا أخيراً إقرار حق المرأة في قيادة السيارة، واستخدموا الدين والمشايخ لتبرير ذلك، مثلما استخدموا الدين والمشايخ من قبل، في قمع هذا الحق البسيط، ونقصد حرية المرأة في سواقة السيارة.

آل سعود هم من رفض سواقة المرأة، والمشايخ لم يكونوا سوى أدوات.

القرار السياسي حسم الموضوع هذا صحيح.

لكن دوافعه ليست جيدة.

لم يكن القرار نابعاً من نوايا حسنة، بقدر ما كان اضطراراً ودفعا لضرر ماحق عن الحكم.

القرار السياسي طوّع القرار الديني، كما هي العادة. أو لنقل بأن السياسة طوعت الدين؛ مرة ضد حقوق الناس؛ ومرة لشرعنة ما يرضي النظام.

في المنع والاباحة استخدم الدين لصالح الحكم السعودي؛ وهذا أسوأ ما في الأمر.

وبالتالي، وبناء على شحطة قلم الملك، ثبت للجميع ان المشايخ لا قيمة لهم ولا لفتياهم. وإذن فلا يلومنّ أحدٌ مشايخ الوهابية في المنع سابقاً، وفي القبول لاحقاً، حتى لو قال النظام انه استشارهم وان (أغلبية) هيئة كبار العلماء أيدوا، وأن (سدّ الذرائع) أسيء استخدامه، في ضربة ملكية تحت الحزام لمشايخ المؤسسة الرسمية.

خالد الدخيل، الاكاديمي والكاتب في صحيفة الحياة، وهو من ضمن حزب الموالاة، قال ان صدور الأمر بقيادة السيارة (يلغي فكرة شاعت، بأن هذا الأمر كان يعود للمجتمع. الأمر تشريعي، ولم يكن ممكنا إلا للدولة مزاولته). والاعلامي صالح الفهيد رأى أن مقولة (قرار قيادة المرأة بيد المجتمع) والتي كان يرددها سعود الفيصل كثيرا، كانت مجرد تبرير للخارج (وان الهدف هو نزع الصفة الدينية عنها) اي ان القضية ليست دينية، وانما اجتماعية، وبالتالي إبعاد التهمة عن مشايخ السلطة المؤتمرين بأمر ال سعود.

هذا ازعج الموالين الآخرين، لأنه يحمل آل سعود والملك سلمان جريمة حرمان المرأة من حقها في القيادة لعقود طويلة، ولتكون المرأة الوحيدة في العالم التي لا يحق لها ممارسة حق بسيط من حقوقها.



سليمان الطريفي:
السلطان يزَعَ مشايخ الوهابية!

الاعلامية السعودية الموالية أماني العجلاني، وصفت خالد الدخيل بالجهل بآلية العمل الاجتماعي، وهذا الجهل لا يعطيه حقاً أن ينام دهراً وينطق كفراً. في حين يؤكد أحمد الزهراني أن السياسة حسمت النقاش والجدل حول سواقة المرأة، موضحاً أن التغيير يأتي من فوق، اي من العائلة المالكة، ولا دخل للمشايخ او غيرهم به. اعلامي آخر هو ابراهيم البكيري، أكد على حقيقة أن القرار السياسي حسم الأمر، وشكر الملك على ذلك؛ وسلمان الدوسري رئيس تحرير الشرق الأوسط، أكد على (القرار السياسي) وربطه بـ (القائد التاريخي)؛ والأمير الوليد بن طلال ايضاً شكر الملك وابنه على القرار، الذي عبر بالمجتمع الى القرن الواحد والعشرين برأيه.

الداعية سليمان الطريفي كان أكثر وضوحاً. قال: (إن الله يزعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن). في اشارة الى القرار السياسي، الذي حول تشدد المتشددين الى مؤيدين متسامحين مع القرار: (بالأمس تشتموننا وتحذرون منا وتتهموننا؟! كيف؟). المسألة واضحة حسب البلوغر خليفة المازم: قال لهم الملك أن قيادة

المرأة للسيارة حرام، فقال المشايخ انها حرام، وبعد فترة قال لهم ان القيادة حلال، فقالوا حلال طبعاً ومستحب بل وواجب.

ولأن القرار سياسي، لن يغير صراخ المعترضين في القرار شيئاً. وعبدالرحمن الراشد، مدير العربية السابق، يرى أن (تدخل الملك سلمان أسقط أكبر السدود وأصعبها). اذن ما دخل المشايخ والمفتي وغيرهم؟

قرار الملك بالسماح بقيادة المرأة أشار الى أن اغلبية هيئة كبار العلماء ترى في قيادة المراة للسيارة الإباحة؛ فيرد أحدهم ممتعضاً: (أصلاً ما عاد فيه أعضاء هيئة كبار علماء ولا حتى مشايخ، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر). وكما أن المشايخ لم يكن لهم قرار في اقرار حق قيادة المرأة للسيارة، كذلك مجلس الشورى، حتى أن البعض تساءل: لماذا لم يأمر الملك مجلس الشورى باتخاذ القرار، على الأقل لتفادي السخط الناجم عنه، ولإشعار المجلس والشعب بأن اعضاء الشورى لازال لهم قيمة البصم؟!

كلا.. الملك وابنه يريدان نسبة المنجز لأنفسهما بدون شراكة، وحتى المشايخ وضعوا للتبرير الديني. وبديهي ما كان الملك ليريد ان يصدر القرار من مجلس الشورى، لذات الغاية.

الآن وقد علم الجميع بأن (الفتاوى تغيّرت من أجل الحاكم) من الحرام الى الحلال؛ وأن مشايخ الوهابية على دين ملوكهم، كما كثير من الشعب أيضاً.. هناك مشايخ معترضون صدموا بقرار اباحة قيادة المرأة للسيارة، ليس في أصل القرار، بل في تقبل الشعب له وانطلاق نساء الى الشوارع فور سماعهن الخبر وهنّ يقدن سيارتهن، مع ان القرار الرسمي يقول بأن بداية السواقة ستكون بعد نحو عشرة اشهر.

من جانبه، فتش الاكاديمي السابق حمزة قبلان، فرأى ان كل مبرر المشايخ في رفض قيادة المرأة للسيارة ـ وكما اوضح الأمر السامي ـ يكمن في استنادهم على مبدأ (سد الذرائع)؛ واعتبر مجرد ذكر هذا: شفافية وانجازاً عظيماً يُحتفى به. فهل اكتشف سلمان وابنه ان حرمان المرأة لعقود من حق قيادة السيارة كان مبنياً على أمر هش ام هو الاستغلال؟ لماذا يتم مهاجمة قاعدة سد الذرائع حين اصبحت لا تلائم مصلحة الأمراء؟ حتى أن أحدهم تفاخر فقال: (سد الذرائع هُدِمَ على رؤوس المتطرفين(!.

(الآن اصبح قرار الملك عظيماً وتاريخياً) تستغرب الناشطة هالة الدوسري، وماذا عن قرار المنع الأوّلي؟ وهؤلاء المشايخ الذين أيدوا القرار وبدلوا رأيهم وفتاواهم هل كان عن وعي، أم كانوا يذهبون مذهب الحاكم ورأيه؟ وكما يقول المعارض عماد الحواس، انه استفاد من القرار ان فتاوى المشايخ ضد الحقوق مصيرها مزابل التاريخ على يد الحاكم نفسه!

الحقوقي مالك السعيد استفزّه التلاعب بالدين: (سبحان الله، ما أسرع ما صارت قيادة المرأة حلالاً؟ ألم يحن أن نعي حجم التلاعب باسم الدين؟).



كبار العلماء وامتهان (البصم) وفق ما يراه ولي الأمر!

ألم تصدر هيئة كبار العلماء فتوى بعدم جواز قيادة النساء للسيارات، ووجوب معاقبة من تقود سيارتها بمعاقبة مناسبة (يتحقق بها الزجر، ومنع بوادر الشرّ، لما ورد من أدلة شرعية) حسب قولهم؟

ألم يأمر سلمان، أمير الرياض يومها، بقمع الدعوات والمطالبات بحق القيادة في الجامعات السعودية؟ الم يسوّغ النظام عام ١٩٩٠ اتهام النساء المطالبات بسواقة السيارة بأنهن ساقطات داعيات الى الرذيلة والفساد في الأرض، وشهّر بهن؟ هذا الفكر الطالباني وعصر الظلام، من كان يحميه قبل صدور الامر الأخير، غير الأمراء أنفسهم، الذين يريدون ان يظهروا لنا بطولة وعنتريات بعد ان استنفذوا اغراضهم السابقة وتحولوا الى أغراض أخرى؟

ثم أليس أعضاء مجلس الشورى معيّنون جميعاً من آل سعود، وكذلك اعضاء هيئة كبار العلماء، الذين أبلغوا اعضاء الشورى في تقرير قبل ست سنوات، بأن قيادة المرأة للسيارة تسهم في نشر الدعارة وغيرها؟

(٢)

من هو بطل التغيير؟

المستفيد من قرار قيادة المرأة معلوم: الحكومة ومحمد بن سلمان تحديدا، اضافة الى المرأة والمجتمع عامة. فوائد قيادة المرأة لا يشك فيها، واسترداد الحقوق في حدها الأدنى، ولو متأخراً، سيستفيد منه الجميع، اقتصادا وانفتاحاً ونفسياً حتى.

لكن المواطنين على مواقع التواصل الاجتماعي، انشغلوا في الاجابة على سؤال لم يطرحه سواهم وهو: من هو بطل التغيير؟ لمن يعود الفضل في قرار قيادة المرأة للسيارة؟ هل هو محمد بن سلمان وأبوه، وهما من أصدر قرار الاذن بالسواقة للمرأة؟ أم هنّ مناضلات ٦ نوفمبر ١٩٩٠ اللاتي بدأن اول محاولة للقيادة؟ ام هنّ المناضلات من الأجيال النسوية الجديدة؟

اعلاميو الحكومة ودبابيسها نسبوا المنجز الى الملك وابنه، ليظهرا كبطلي اصلاح، وهما اللذان وضعا النساء في السجون لأنهن قدن سياراتهن، بل وصادرا سياراتهن ايضاً.

هؤلاء انزعجوا من نسبة المنجز الى غير الملك وابنه، لأن ذلك يعني انهما أجبرا على القرار تحت الضغط الشعبي، ولأن ذلك يعني بأن المزيد من الحراك يعني المزيد من الحقوق والتنازل من قبل الملك وابنه.

لهذا كان هناك جدل وشتم وتهديد من اعلاميي الحكومة لمن يقول ان بطل التغيير هن النساء أنفسهن اللاتي ناضلن لسنوات من اجل هذا الحق ودفعن الثمن.

وبالطبع هناك من حاول الجمع بين قرار الملك، واستجابته للضغوط الشعبية، النسوية بالذات.

في نوفمبر ١٩٩٠ كانت محاولة اولى للاحتجاج، حيث بادرت ٤٧ امرأة في الرياض بسواقة السيارة، فاعتقلن، وفصلن من اعمالهن بأمر آل سعود، وكتب التيار المتطرف منشورات ضدهن تتهمن في أعراضهن.

يبارك عبدالرحمن الخميس للنسوة الأوائل قرار إجازة المرأة بالسياقة (الساقطات سابقاً هن ابطال اليوم. إذا نساكم البعض، فالتاريخ لن ينساكم). والمغرد المشهور لويس غرم الله تذكر الماجدات المتظاهرات في ١٩٩٠ وقال: (لم تتصور أكثرهن تشاؤما ان الأمر سيستغرق ٢٨ عاماً)، كذلك حيّتهن الكاتبة والناشطة خلود الفهد؛ ورأت الناشطة منال الشريف يوم إقرار حق السواقة بمثابة (رد اعتبار لكل امرأة من نساء ١٩٩٠ حتى اللحظة)، وطالبت بتسمية مدارس تعليم قيادة النساء بأسمائهن. أما عبدالله المقحم فيتألم ويذكر بأن



هالة الدوسري:
نصر تحقق بجهود المرأة

احدى المشاركات في سواقة السيارة في ١٩٩٠ مات والدها وهو لم يكلمها بسبب تأليب المشايخ عليها، واضاف موجها كلامه للمشايخ انفسهم: (حتى وإن سامحن ظلمكم، فالتاريخ لن يسامحكم).

كذلك، وبمناسبة صدور الموافقة بقيادة المرأة للسيارة، تذكرهن الصحفي خلف الحربي الذي وجه تحية لهن، حيث واجهن أشرس وأبشع وأقذر الحملات المتعصبة، حسب قوله. وهنا اعترض عليه مخبر رسمي بكلام وقح، واعتبر ذلك تحريضاً على ولي الأمر، وهدده في معاشه وراتبه، مشيراً الى ان مصيره سيكون مثل جمال خاشقجي الذي ولّى هارباً! ووصف المخبر ـ ابراهيم العيسى ـ النسوة الناشطات بأنهن بلا حياء ولا حشمة، ثم من أنت؟! وهدد مخبر آخر الصحفي خلف الحربي: (لا تصنع يا خلف بطولات وهمية لشريحة خالفت ولاة الأمر).

من جانبه، بارك الصحفي المتميز خالد الوابل لنسوة ٦ نوفمبر ١٩٩٠ بشكل خاص، صدور قرار الموافقة على سواقة المرأة للسيارة. أيضاً رد عليه مخبر متمنياً أن لو كان وزير الداخلية نايف حياً الآن لينتقم منه؛ هنا زاد الوابل: (من زمان وأنا أشكرهن). فرد مخبر ثالث ـ وما أكثر المخبرين: (اذن لكَ سوابق في التحريض على ولي الأمر، والتشجيع عليه، لذا وجبَ الحساب!).

الصحفي سعد الدوسري، الذي ألف كتابا بعنوان السادس من نوفمبر، ومنع من البيع الى اليوم، تذكر المناضل الراحل والصحفي والمصور المتميز صالح العزّاز، الذي وثّق تظاهرة ١٩٩٠ النسوية وكان له دور في تنظيمها؛ كذلك فعل الناشط والاعلامي عقل الباهلي، الذي عاد وشمل في شكره الملك وولي عهده، خوفاً ربما.

وأثنت الناشطة تماضر اليامي على نساء ٦ نوفمبر وغيرهن، واضافت: (we did it/ لقد نجحنا)، وتمنّت تماضر استرجاع سيارتها التي صادرتها السلطة منها في ٢٠١٣، بعد ان قادتها، والتي تحللت الآن او تخللت، تقول ذلك ساخراً. ايضاً بارك ثمر المرزوقي لنسوة ١٩٩٠، والنشاطات الجديدات كمنال الشريف وعزيزة اليوسف ولجين الهذلول وغيرهن، وقال ان (الكفاح طويل، أنتم التاريخ). رد عليه مخبر: (الدولة لا يضغط عليها أحد. لم تتخذ الدولة هذه القرارات بناء على ما فعله هؤلاء). اخرى قالت ان نساء ١٩٩٠ هن سبب تأخير قرار السماح للنساء بالقيادة!؛ وأيدت هذا الرأي الكاتبة السلطوية أماني العجلاني، واصفة الناشطات بثلة من الهمج لا فضل لهن.

المعارض في المنفى عماد الحواس نسب فضل قرار قيادة المرأة الى الناشطات: (اخذتوها بدقّ خشوم. استمروا في نضالكن)؛ والناشط الحقوقي عادل السعيد بارك لهن انتزاع حقهن بسبب إصرارهن. لكن الامير عبدالرحمن بن مساعد يقول بأنه لا يصح تجيير القرار لصالح ناشطات، فالقرار مبني على دراسة. ردت تينا الفيّ عليه: (لولا مطالبات نساء شريفات قلن كلمة الحق حين كنتَ انت وغيرك شيطاناً أخرس، لما تحقق الحدث التاريخي اليوم).

(تكسرت قيود استبداد الحكومة تحت أقدام النساء، فالقرار انتزع من السلطة ومشايخها)، يقول المحامي الحقوقي طه الحاجي؛ والكاتب والصحفي وائل قاسم ينسب الفضل الى ولي العهد محمد بن سلمان الذي نقل المجتمع بزعمه من الظلمات الى النور؛ ودعاة حملة ٢٦ اكتوبر يتفاخرن (انتصرنا بجهودكم ونضالكم.. لن ننسَ ولن نسامح مَنْ منعنا لسنين).

هناك متسلقات كنّ يعارضن الناشطات، والآن يردن اكتساب المجد بركوب الموجة، مثل أضوى الدخيل التي علقت حين سمعت قرار السماح للمرأة بالقيادة: (الحمد لله. أبكي؟ أحس أني بحلم)؛ ردت عليها الناشطة همسة الغامدي: (متسلّقة ودموعك زيف، وبكاؤك تمثيل، لم يكن هذا مطلبك يوماً، وما قلت كلمة حق في بنات وطنك، بل كنت تعيشين في برجك العاجي، ورقصت على جراح المرأة السعودية).


منال الشريف: هددوني بعدم الاقتراب من تويتر!

وقالت علياء البوعليان، بأن حبر توقيع القرار كان (أعمار الناشطات والنشطاء وطوفان من الشتائم والتهديدات يومياً في سبيل تحويل قضية سواقة المرأة الى قضية رأي عام).

لـــذا مـــن حقهـن ان يباركن لبعضهن البعض، وان تدمع أعينهن فرحاً بالانتصار؛ فقد كان يوم اقرار حقهن تاريخياً بفضلهن؛ دفعن ثمنه سجناً وتهزيئاً وسخرية ومنعا من السفر والوظيفة. وكل من ينكر دورهن في صناعة القرار جاهل او حسود، يقول ماهر موصلي. وحري بنشر اسماء المناضلات في صدر الصفحة الأولى للصحف كما قال خاشقجي، وليس اسم الملك وابنه؛ سواء انزعج الموالون جهلا او تآمراً او رضوا. بل رأى أحدهم أن من الواجب الاعتذار لكل المناضلات على تضحياتهن والأذى الذي تحملنه.

حقاً كما تقول الناشطة في المنفى موضي الجهني: (قيادة السيارة ليست مكرمة، المنع هو عار ستوصم به مملكة كراهية النساء. لن نصالح وسنواصل المطالب).

يجب ان نذكّر هنا، بأن رجال المباحث اتصلوا على كل الناشطات عشيّة اعلان القرار بسواقة المرأة للسيارة، مطالبين اياهم بالتوقف عن التغريد على مواقع التواصل، تحت طائلة التهديد. اندهشت كثيرات للطلب، وبحثن عن السبب، فوجدن ان الملك وابنه وآلتهما الدعائية، تخسر كثيراً، لأن حضور الناشطات يعني ان الفضل يعود لهن، أو على الأقل مشاركتهن في صناعة القرار، وبالتالي فإن المجد لن يذهب الى سلمان وابنه، او لن يذهب لهما كاملاً، ولذا وجب اخراس الناشطات!

(٣)

(القيادة) همّ وانزاح!

قيادة المرأة ضرورة، حق من حقوقها، واجب على الدولة ان لا تعترضه. صدور قرار لا يعطي الملك ولا ابنه فضلاً. لم يقبلا به الا تحت الإضطرار. الاضطرار بسبب الضغط الداخلي، والاضطرار بسبب الفضيحة الخارجية حيث التشنيع على المملكة الداعشية، واضطرار ايضاً لحاجة اقتصادية.

لهذا رأينا تعليقات موالية كثيرة تقول: (هم وانـزاح عنا). وليس (حقاً واسترجعناه بجهدنا) أو (حقاً استردّه أصحابه)، او ان القرار يمثل تصحيحاً لمسيرة كانت خطأً.

لم يكن يهم آل سعود وجوقتهم حقوق المرأة ولا معاناتها، وانما درء مفاسد ارغموا على إدراكها متأخرين.

كان واضحاً ان القرار، يهتم بارضاء الخارج اكثر من الداخل من النساء والرجال، وهذا ما فعله ابن الملك، الطفل هو الآخر، وابن الملك، السفير في واشنطن، خالد بن سلمان، والذي قدّم عدّة تصريحات بمجرد اعلان السماح بقيادة المرأة للسيارة.

الخارجية السعودية، من جانبها، غردت بالانجليزي في موقعها على تويتر: (العربية السعودية سمحت للمرأة بقيادة السيارة/ Saudi Arabia allows women to drive)!

الصحف السعودية فعلت ذلك بالانجليزي، كما بالعربي. والصحافة الغربية ايضاً وجدت الأمر منجزاً، وهي كانت تتمنى من الحليف الذي لا يأتي منه الا الأخبار السيئة، خبراً جيداً. لهذا كان الترحيب من اكثر من سبع وعشرين صحيفة.

المعلمي، ممثل السعودية في الأمم المتحدة، بشّر العالم من منبرها بانه قبل

دقائق فقط سُمح للمرأة المسعودة أخيراً بقيادة السيارة، وصفّق لنفسه.
فهد العرابي الحارثي، رئيس مركز اسبار السعودي، علّق: (همّ وانزاح)؛ وليس حقاً استرددناه، او رجعنا الى جادة الصواب. واضاف: (هذا الموضوع الأكثر صعوبة في تبريره، وكان عبئا ثقيلا). والاعلامي عثمان العمير، صاحب موقع



مانشيتات الصحافة السعودية: رسالة الى الخارج!

ايلاف يقول: (انزاح عن صدورنا واقع بغيض، وسؤال غاية الحرج مع سخرية سوداء تواجهنا كل يوم)؛ والصحفي محمد العوين حمد الله (على اغلاق هذا الملف المزمن المزعج.. ملف استخدمه اعداؤنا للنيل منا). وعبدالعزيز القاسم كان أذكى، فقد تنفّس الصعداء باغلاق ملف (مُحرج شرعياً وقانونياً وعالمياً.. وقبل ذلك حق مشروع ردّ لأهله).

اصلاح وجه آل سعود: زف خبر قيادة المرأة للسيارة الى العالم!

الاعلامي والمسؤول السعودي السابق في اليونسكو، ادريس الدريس ارتاح بـأن برامج التوك شو لن تجد فقرة تسخر فيها على ال سعود: (سامحونا قفلنا عليكم)؛ وخالد المطرفي ـ العامل في العربية ـ يحمد الله (خرجنا من قائمة منع قيادة المرأة للسيارة). والاعلامية هيلة المشوح ارتاحت لاغلاق ملف أحرج الدولة كثيرا.
فعلتموها إذن؟ (أهلاً بكم في كوكب الأرض)، تسخر الاعلامية اليمنية منى صفوان.
او أهلا بكم في القرن الواحد والعشرين، كما علق مذيع فوكس نيوز.

(٤)

رجال الدين وتأييد الملك

فجأة أيّد الجميع قرار قيادة السيارة.
المشايخ والدعاة والأمراء والمسؤولون والأفراد العاديون. والأهم المفتي وهيئة كبار العلماء.
من كان يعارض الأمر طيلة السنين الماضية إذن؟
قرار السواقة زاد من اسقاط المشايخ والمؤسسة الدينية على الصعيد الشعبي، فضلاً عن تضاؤل موقعيتهم في النظام السياسي.
اولاً لأن الملك تجاهلهم تقريباً، وثانياً لأن القرار حرض المجتمع عليهم، وثالثاً أبان جهالتهم وتناقضهم وأنهم أداة بيد السلطة يمينا او شمالا، فالحلال ما حللته، والحرام ما حرمته، ولكل موقف تبريرات.
المواطنون (طقطقوا) على المشايخ الوهابيين وسخروا منهم، ومن فتاواهم المتحجرة التي يبيعونها للنظام كلما احتاج، ويغيرونها كلما أمر وأراد.
ولا ننسى هنا، فقد استُغل الدين في تبرير القمع للشعب وللمرأة بالذات، والآن يستخدم الأمراء الشعب لضرب المشايخ وتطويعهم.
فرق كبير بين ان يحذر المفتي من قيادة المرأة للسيارة قبل أسابيع، وبين أن يبيحها بعد ذلك بفترة وجيزة ويفسح المجال للملك ان يقرر ما هي المصلحة. وفرق كبير بين فتوى هيئة كبار العلماء تقول ان قيادة المرأة تتنافى مع السلوك الاسلامي القويم والغيرة وعدم جوازها ومعاقبة فاعلها؛ وبين قولهم الجديد: (قيادة المرأة من حيث الأصل مباحة!).
هل نسينا خطابات الشيخ سعيد بن مسفر ضد سواقة المرأة واتهاماته، حتى يبرر الآن الأمر؟
عضو هيئة كبار العلماء الشيخ عبدالله المطلق يقول ان قيادة السيارة من الأمور المباحة. والشيخ المصلح يقول ان رأي المشايخ متطابق مع رأي الملك ؛ وعائض القرني يتحدث عن الاباحة، وأن سواقة المرأة افضل من الاختلاء بأجنبي؛ والشيخ المغامسي يتحدث عن الاباحة والحاجة؛ وعضو هيئة كبار العلماء الشيخ المنيع يكرر: الأصل هو الإباحة؛ والشيخ المسعود يقول ان قيادة المراة تتواءم مع الضوابط الشرعية؛ وعضو هيئة كبار العلماء الشيخ ابن حميد رأى قيادة المرأة امر شرعي؛ والشيخ العريفي ليس لديه تحفظ في التأييد؛ كذلك عضو هيئة كبار العلماء الشيخ عبدالله التركي لا يرى تعارضاً بين قيادة المرأة مع القرآن والسنة؛ والشيخ الصحوي سعد الدريهم المعارض اصبح مؤيداً؛ ورئيس ديوان المظالم ليس لديه مانع ويقول ان القرار جاء في وقته؛ ومثلهم عبداللطيف آل الشيخ، رئيس هيئات المنكر السابق، يقول ان قيادة المرأة للسيارة ليس فيها اي مخالفة شرعية.


إيمان الحمود: المشايخ لحومهم غير مسمومة، ثم من سيستمع لفتاواهم؟

وهكذا اصبح الجميع مؤيدين لقيادة المرأة: (يعني معقول المعارض الوحيد كان جاري أبو سعد فقط ـ سبحان الله) يقول فاضل العجمي! وسخر قطري: الشعب كله مؤيد (أنا أشهد أن سلمانكو سنّعكُمْ). لهذا بدأ المواطن (يطقطق) على المشايخ، وعذرهم كساب العتيبي المعارض سابقاً والموالي حالياً، فقال: (ما ينلامون: أمس حرام، واليوم حلال. خلهم يفضفضون).
اذن ليطقطق غانم الدوسري: (المفتي بيستغني عن السائق، وبيشتري لأهله سيارة محجبة)! والاعلامية ايمان الحمود ترى أن (صورة شيوخ السلفية الى

الهاوية.. من سيصدق فتاويهم بعد الآن؛ واضافت: لم تكن لحومهم مسمومة يوماً!

والاديب عبده خال يسأل: (اين كان دين بعض المشايخ حينما وقفوا ضد قرار قيادة المرأة واتهموا كل من نادى به بأنه فاسق، فهل موافقتهم الآن تعتبر فسوقاً؟). وحين اراد الشيخ سعود الشريم ان يستخدم الدين وتطويع الآيات لتأييد قرار الملك؛ وقال: (سخر الله لعباده وسائل التنقل تكريماً لهم: "وحملناهم في البر والبحر". والعبد بوازعه وحسن قصده، سيُعان عليها فيما سُخرت له، شكراً لمسخِّرها دون تجاوز). رد الشيخ عبدالعزيز الموسى: (الآن يابن شريم صارت قيادة المرأة مما سخره الله لعبادة؟ نسيت قصيدتك في هجاء الاعلاميين والمطالبين بقيادة المرأة).

المحامي والاعلامي السلطوي عبدالرحمن اللاحم، وهو يرى زخم التأييد لقيادة المرأة قال ساخراً: (ما شاء الله. وشّ هالتسامح وهالفتاوى السّمْحَة اللي طلعت اليوم؟! وينهم عنّا من زمان؟). واضاف بأنه سيصاب بجلطة بعد تأييد العريفي والشنار لقرار الملك ولهول ما سمع من تأييد.


كانت سيارة مفخخة، والآن سيارة محجّبة!

(٥)

ما بعد انهيار السدّ

بعد اكثر من شهر ونصف، لازال قرار السماح للمرأة بقيادة السيارة، يمثل الحدث الأبرز والأهم في النقاشات العامة والخاصة، في الصحافة والإعلام الرسميين، وفي مواقع التواصل الاجتماعي.

كان القرار بمثابة انهيار للسدّ، له تبعاته، التشريعية والنفسية والقانونية والاقتصادية وحتى السياسية والأمنية.

قرار تلو الآخر يصدر، والحكومة غير قادرة على ضبط ايقاع السرعة اللازمة لحلحة مشاكل مضى عليها عقود من الزمن، بل منذ قيام الدولة السعودية نفسها.

بعد قرار السماح للمرأة بالقيادة، وجدت السلطة انها بحاجة الى اقرار قانون مكافحة التحرّش، وهو القانون الذي كانت ترفضه هي ومشايخها، وقد طلب الملك سلمان بوضع قانون بالتحرش خلال شهرين.

قانون السماح لفتيات الجامعات باستخدام الهاتف الجوال داخل الجامعة تم اقراره، رغم سخف المنع من الأساس. وكذلك قرار السماح لهن مغادرة الجامعة دون الحاجة الى حضور ولي امرها!

السينما بدأ تدشينها والاستعدادات قائمة لفتح صالات سينما اخرى تغطي خارطة المهلكة المسعودة.

المطالبات الشعبية تتصاعد بإلغاء ولاية الرجل على المرأة، على الأقل فيما يتعلق بحق السفر الذي يجب ان لا يقيد بقرار من (الذكور)!.

استخراج وثائق السفر وغيرها للمرأة دون موافقة مسبقة من الزوج، في طريقها الى التغيير.

بنوك عديدة ألغت الأقسام النسائية لديها، وصار بالإمكان اجراء النساء والرجال معاملاتهن البنكية معاً.

وهكذا، فإننا المملكة السعودية تتغير دراماتيكياً وبصورة متسارعة جداً، أذهلت المؤيد والمعارض معاً، مع ان المعارضين اصبحوا مكتومي الأنفاس، غير قادرين حتى بالتصريح عن امتعاضهم وغضبهم، وجلّهم من مشايخ التيار السلفي ومحيط السلطة الاجتماعي.

عبثاً حاول التيار السلفي الوهابي استنهاض قواعده في هاشتاق بعنوان (الشعب يرفض قيادة المرأة)، فكان كل المشاركين فيه بأسماء مستعارة خشية الاعتقال!

تساءل المفكر محمد علي المحمود: هل الشعب المقصود هو مجموعة من المتطرفين الذين لا يتجاوز عددهم ٢ بالمائة من مجموع الشعب؟ واضاف بأن (المرأة قادمة) وان من يراها بعقل كامل سيفرح بحضورها، ومن يعتقد بأنها بربع عقل، سيموت كمداً، في اشارة الى الشيخ الحجري. واعتبر المحمود قيادة السيارة اكبر من حاجة وأعمق، هي تحرير للمرأة من قيد أشعرها بالإعاقة.

ولتقريب الصورة خاطب الرجال بقوله: تخيّل قراراً صدر بمنع الرجال من قيادة السيارة لسنة واحدة، كيف ستكون حياتك؟

الشيخ الطريفي يعلم ان قرار الدفاع عن حرمان المرأة من قيادة السيارة لا علاقة له بدين ولا بعقل ولا بمنطق ولا بمصلحة، لذا يخاطب متطرفاً بقوله: (ماذا تستفيد اذا قدّمت الاسلام كعدو للحياة، ويتسبب في الضيق والحرج. يا من يحرم المباح، ويضيّق على الناس في خياراتهم: أتريد أن ينفر الناس عنه ـ اي عن الاسلام؟).

وعاد المفكر المحمود فقال ان التطرف هو الذي سبب موجة الإلحاد في البلاد، وتعجب من ان المتطرفين انفسهم يبحثون عن الأسباب وهم السبب! وقال انه ما فتيء يحذر المتشددين بأنهم سيحدثون ردة فعل تجاه الدين، خاصة بعد ان يكتشف الجميع ان ثوابتهم مجرد أقوال!


كم هي مملكة بائسة.. شحطة قلم من (الداشر) تقلب عاليها سافلها!

الاعلامي عبدالله العَلَمي يخاطب معارضي قيادة السيارة بأن اطلاق سراح المرأة من (صندوق مجوهراتكم حقّ مشروع. هي لا تريد ان تكون جوهرة مكنونة من ممتلكاتهم، بل كائن حي تتنفس وتعيش بحرية مثلكم). وبخيت الزهراني، يرد على هاشتاق (الشعب يرفض قيادة المرأة) بأن (الشعب يرفض المتحجّرين ومن والاهم. اخرجوا من حياتنا ومسيرتنا).

ومادام الاعلام الرسمي حظر نشر اي معارضة او رأي مختلف لقرار الملك بقيادة السيارة، اذن لم يبق سوى الفضاء الالكتروني، فظهر هاشتاق ثان وايضاً بلا أسماء خشية الاعتقال، عنوانه: (حريم بيتي لن يقودوا). ترد احداهن: (هذاك أوّل تقرر عنها. الحين تروح وتصدر الرخصة وتشتري السيارة بدون حتى موافقتك. انتهى زمن معاملة المرأة كالممتلكات الشخصية). وسخر آخر، فقال أن تطوراً حدث في عقلية المتطرفين، فهم ينشغلون بحريمهم وبيوتهم عن الآخرين. والاعلامي ابراهيم البُعَيْز يقول بأن قيادة السيارة حق، ولكن أحداً لن يجبر من لا يريد على فعل ذلك. والصحفية أسماء الراجح لم ترَ شجاعاً يكتب باسمه

في الهاشتاق؛ وزادت مخاطبة اياهم ساخرة: (صكْ على حريمك، ولا تشوفهن يوطوطون حولنا، واحنا نسوق، نبيْ نركّز في السواقة). واخرى مؤيدة لسواقة السيارة ترد: (حُرْمَتْ عيشتِكْ أنت وِيّاه. بحياتي ما شفت أغبى من هالمعارضين. يرضى أخته تختلي بسوّاق، ولا يرضى أنها تختلي بنفسها. فيهْ أدْلَعْ من كذا؟!). وخاطب ثالث معترضاً: (ان القرار ليس لحريم بيتك فقط. هذا قرار دولة فيها ثلاثين مليون).

مؤيدة سواقة اخرى سخرت بالقول: (يتوقع الجاهل بأن الناس سوف يحاسبونه اذا حريم بيته لم يقدن السيارة. عزيزي الجاهل: مَحَّدْ درى عنك وعن حريمك). ومثلها تقول: هؤلاء يعاملون المرأة كشيء من ممتلكاتهم: يوافق باسمها، ويرفض باسمها وهي ليست لها كلمة.

لم يكتف المعترضون على قرار الملك بالسماح للمرأة بقيادة السيارة، فأظهروا هاشتاقاً مشابهاً عنوانه (هل ستسمح لحرمتك تسوق؟)، أجاب مؤيد: (اذا صارت زوجتي او اختي او ابنتي، البالغات، ملكاً لي.. ذاك الوقت اسألني. الى متى معاملة النساء كقاصرات عديمات الأهلية؟). وانشأ المتشددون السلفيون هاشتاقاً بعنوان: (نحن بنات سلمان لا نريد القيادة)؛ فردت مغردة بأن الطيور التي تُولدُ في القفص تعتقد بأن الحرية جريمة. وردت اخرى ساخرة وهي تخاطب الملك: (يَبون يشترون لي سيارة عشان أسوقها غصب. إلحقني يا بابا سلمان!).

من المفارقات ان شاعر الصحوة عبدالرحمن العشماوي، كان قد أنشأ قصيدة ضد سواقة المرأة عنوانها (رسالة الى فتاة الجزيرة)؛ وتشاء الأقدار أن ابنه أسامة العشماوي، هو من قرأ أمر الملك الذي يسمح بقيادة السيارة، ولكن بعد نحو ربع قرن.

موضوع قيادة المرأة للسيارة كان سياسياً بامتياز، وإن تلطّى خلف الدين تارة، وخلف المجتمع تارة أخرى. وحين وجد آل سعود ان حرمان المرأة من قيادة السيارة لا يخدمهم، او يضرّهم بأكثر مما ينفعهم، تراجعوا مرغمين.

الدكتورة مضاوي الرشيد تقول بأن قيادة المرأة للسيارة لن تصرف الانتباه عن الحقوق المسلوبة للرجل والمرأة، وتضيف: (بدون حكومة منتخبة وتمثيل سياسي لن نستفيد). ورأت الناشطة هالة الدوسري توقيت قرار قيادة السيارة سياسيٌ بامتياز، حيث الاعتقالات وكأن القرار جاء كمقايضة سياسية لتجاوز حق الناس في التعبير.

البعد السياسي في جوهر قرار قيادة المرأة، او في توقيته، اشار اليه الاعلامي جمال خاشقجي بشيء من السخرية: (الحمدُ لله، لقد أزاحت الدولة كل معطّلي التنمية، الصحوة، الهيئة.. إذن لتسمح بقيادة المرأة والسينما، وتجريم العنصرية وتسمح بالتعددية فكراً وفقهاً). ورأى خاشقجي ضرورة الانتباه للأهم: (حرية التعبير، المشاركة السياسية، المراقبة والمحاسبة.. وحينها ننهض).

الاعلامي القطري عبدالعزيز آل اسحق، قرّر أن اعتقالات الصحويين جاءت لتمهيد الطريق أمام قرار سواقة المرأة؛ فردت الاعلامية ايمان الحمود بأن ذلك غير صحيح، وطالبت بعدم خلط الأوراق. لكن الأوراق كلها مخلوطة يا إيمان: حرب اليمن اختلطت مع الحرب على قطر، وقبلها الصراع مع ايران، مع خلع ولي العهد ابن نايف، مع تقليص دور هيئة المنكر، مع الرؤية العمياء، مع تدمير العوامية، مع اعتقالات الصحويين وقبلها حملة الاعدامات، وهكذا! كل قضية مرتبطة بأختها، وجميعها تعود الى محمد بن سلمان وتتويجه ملكاً!

الآن وقد انهار السدّ الأول، تبقى السدود الأخرى سهلة يسيرة.

الكاتب السلطوي محمد آل الشيخ يطالب ابن سلمان الذي وصفه بأنه (رمز الحداثة والتنمية والتحضر والاصلاح) بـ (تقنين الشريعة) وهو كلام حق يراد به باطل؛ والصحفي قينان الغامدي يطالب بقرار حاسم بالغاء هيئة المنكر، وليس ضمها الى وزارة الشؤون الاسلامية، وقد كتب مقالاً في هذا. رد عليه أحدهم بأن ادعياء الليبرالية يريدون (تبديل معتقد ودين).

المطالب لا تتوقف. هناك (الغاء ولاية السفر)، حيث قالت احداهن: (نطالب بالغاء الولاية عند استخراج الجواز، وتصريح السفر وتحديد سن الرشد للأنثى والذكر)؛ والعنود التميمي ترى (للمرأة حق السفر للدراسة والعمل والسياحة بلا قيد ولا شرط ولا وصاية)؛ كما يجب تمكينها من ذلك باستخراج وثائق سفر لها ولأطفالها كما الرجل. اعترضت احداهن فقالت كذباً بأن المراة في الغرب تتمنى ان يكون لها ولياً يحرسها، وفي بلد الاسلام تتمنى المرأة المسلمة اسقاط ذلك الولي. ردّت امرأة عليها: (أحملُ وأولدُ وأُربّي واصرفُ، ثم يأتي ولدي البزْرْ ليصرح أو لا يصرّح لي بالسفر؟!). وسألت: (ليه مو أنا اللي اصرّح له بالسفر؟ وَجَعْ!).

صحيح ما قاله المحامي ابراهيم المديميغ بأن حق قيادة السيارة متواضع لكنه يمثل منعطفاً تاريخياً.

ولأنه منعطف، لا بد أن تتبعه قرارات؛ لذا فور اقرار حق القيادة للمرأة، قفزت الناشطة عزيزة اليوسف مطالبة بتمكين المرأة كاملاً واسقاط الولاية. واحمد العواجي طالب مباشرة ـ هو وغيره ـ بوضع قانون عاجل حازم وصارم لمكافحة التحرّش. وبالفعل صدر أمر من الملك بوضع قانون لمكافحة التحرش خلال شهرين. لكن المحامي نايف آل منسي طالب ايضاً بقانون تجريم الطائفية، لأن قانون التحرش سيجرّم أفعالاً هي مجرّمةٌ أساساً، اما قانون تجريم الطائفية، فسيجرّم أفعالاً لازالت في عرفنا الاجتماعي والديني مُباحة. ودعا المحامي آل منسي الى قمع السعار الطائفي ونَتَنْ التراشق القبلي.

وظهر دعوات بعنوان (حاكموا دعاة الكراهية) حيث دعا احدهم الى مراجعة الوهابية التي يتفنن دعاتها وعلماؤهما في التكفير والتحريم؛ مضيفاً بأن لدى هؤلاء هوس وجنون في التكفير والتحريم. والكاتب وائل قاسم الذي عبر عن فرحته بأن (الوطن يُولدُ من جديد).. طالب بسرعة السماح بفتح دور للسينما (عَجلوا علينا بالذي بعده وفقكم الله)؛ واضاف بأن هيئة المنكر ستُلغى وسيتقلص المتطرفون؛ المسألة مجرد وقت.

وكان من ثمرة قيادة المرأة للسيارة أن تمّ السماح للفتيات الجامعيات باستخدام او بالأصح بإدخال الهاتف الجوال في حرم الجامعة. وظهر هاشتاق بهذا المعنى اعتبره القاسم فضيحة (يعني جامعيات وكنّا نمنعهن من استخدام الجوال؟! وسُمح لهن الآن وفرحنا بالخبر). هل نقول مبروك؟ أم هات الحق المتأخر اللي بعده؟ يقول آخر. ومثل ذلك هاشتاق (أم كلثوم تعود للقناة السعودية) بعد غياب نحو اربعين سنة. فهذه فضيحة ثانية يقول القاسم. في حين اكتفى المعارضون بوضع فتاوى المشايخ بشأن الموسيقى والمعازف. وسخر مواطن فقال أن (أم كلثوم بيجيها عذاب القبر من جديد)؛ واخرى تعترض: (أسأل نفسي أقول من هي ام كلثوم؟ وِشْ سالفتها واصلة الترند؟ أحسبها مبتعثة وجايّة للبلد.. أثرها هذي، الله لا يبتلينا). وسخر احدهم: (القناة الأولى كانت تسمى غصب واحد، الحين دلع واحد).



ام كلثوم وسميرة توفيق تعودان للشاشة السعودية بعد ٤٠ عاماً من (الصحوة)!

وكانت الحكومة قد بشرتنا في كل اعلامها وصحافتها بخبر عودة ام كلثوم لشاشة التلفزيون؛ وعلق الدكتور اسعد ابو خليل بأن الحكومة السعودية سمحت ببث أغاني ام كلثوم باستثناء اغنيتها (أصبح عندي الآن بندقيّة/ الى فلسطينَ خذوني معكم). ولم تتمالك جريدة الوطن من وضع الخبر في خانة (عاجل)؛ ما أدهش المتابعين العرب، ودفع باحدهم الى النصح بعدم نشر الأمور الصغيرة لأن الشعوب الأخرى (أخذونا طقطقة) اي سخروا منا. مصري سخر فقال: (كويّس انهم مبدأوش من: طلع البدرُ علينا)؛ وآخر: (طيّب متاخدوا الموضوع من الاول كدة، وصالح عبدالحي والست منيرة المهدية).

وهكذا بدأ الأمر بقرار صغير، او لنقل بـ (شحطة قلم) من ابن سلمان، لكن الأمور لم تقف ولن تقف عند هذا الحد. فقد ظهر تطرف مخفي بسبب تطرف الوهابية، يدعو الى الانفتاح حدّ التحلل، ما دفع بالمحامي المعارض في المنفى اسحاق الجيزاني ليقول: (الصحراوي اذا تديّن تطرّف؛ وإذا تحرّر تفسّخ. لا يعرف الاعتدال كالصحراء المتطرفة).

لم يهدأ التيار السلفي في مناكفاته، فطالب بوضع قانون للتبرّج، مقابل قانون التحرّش الذي يرفضه لأنه بنظرهم يشرعن التبرّج.

علق احدهم ساخراً في محضر التحقيق مع نساء مخالفات: (وش قضيتك؟ كاشفة وجهي. وأنتِ؟ مْطَلِّعَةْ عيوني من النقاب). اي ان موضوع التبرج مغالى فيه.

لكن هناك توقع ان المعارضة للتغيرات الاجتماعية قد تؤدي الى تقوية داعش الأصلية المحلية، وبالتالي قد تكون السعودية على موعد مع موجة عنف جديدة تضربها، لن يكون مهاجمة قصر السلام الملكي في جدة آخرها. هناك قدر من الإحباط لدى التيار السلفي، وهو يشعر بالاختناق، فبعد ان كان ملء السمع والبصر يصول ويجول بقوة الدولة وسلطان آل سعود، صار منبوذا مُحتقراً.

هدد احدهم بشكل جاد في فيديو منشور من انه سيحرق أي سيارة تسوقها امرأة اذا تعطلت او بالتعبير الشعبي (بَنْشَرَتْ). فظهر هاشتاق ضده، فتراجع معتذرا قائلاً انه مجرد (طقطقة)، يعني مزح وكلام فارغ ما يقصده. ولم يكن ليتراجع لولا ان الكثيرين طالبوا باعتقاله وتأديبه. فيما أوصت ناشطة بـ (التربية ثم التربية ثم التربية. علموهم يحترموا اخواتهم، ومستقبلا زوجاتهم وبناتهم، حتى تنقرض هالعيّنات من المجتمع).

(٦)

إقفال المحلات وقت الصلاة

من تداعيات التغيير في هوية الدولة السعودية، تخفيض المنسوب الديني في حياة المجتمع، وزيادة جرعات الترفيه، واستعادة بعض من حقوق المرأة التي قُمعت باسم الاسلام والدين وسدّ الذرائع.

انهيار السدّ بدأ بقيادة المرأة للسيارة، والمطالبات بالتغيير تكاثرت بأكثر مما يريد النظام نفسه ربما.

اقفال المحلات التجارية وقت الصلاة كان سمة بارزة في هوية الدولة السعودية، رغم انه لم يبدأ رسمياً إلا عام ١٤٠٧ هجرية اي عام ١٩٨٦، رغم ان المطالبات به قديمة، بل ان مفتي السعودية الأسبق محمد ابن ابراهيم آل الشيخ طالب أيضاً في عام ١٩٦١ بإيقاف السيارات عن الحركة وقت الصلاة. وسرعان ما شكل ايقاف محلات التجارة عن العمل جزءً من الهوية الدينية للدولة والمجتمع، رغم ان اقفال المحلات وقت الصلاة لم يكن ـ كما يحب السلفيون المقارنة ـ موجوداً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد الصحابة، وليس مسنداً من الناحية الفقهية والعقدية.

وقد اتجهت النقاشات الشعبية وفي وسائل الاعلام المحلية والصحافة الى الجوانب الاقتصادية والحياتية والفقهية للموضوع، ونادراً ما تطرق الى أهم قضية تتعلق به وهي (هوية الدولة والمجتمع). اذ لو لم يكن كذلك، ما أثار هذه المشكلة الكبيرة، بنظرنا.

اغلاق المحلات وقت الصلاة لم يفعلها النبي ﷺ
- حكم سيدنا أبوبكر (سنتين) ولم يفعل هذه البدعة
حكم سيدنا عمر (10 سنوات)ولم يفعل هذه البدعة
حكم سيدنا عثمان (12 عاماً) ولم يفعل هذه البدعة
حكم سيدنا علي (4 اعوام) ولم يفعل هذه البدعة
حكم سيدنا الحسن (6 أشهر) ولم يفعل هذه البدعة
حكم سيدنا معاوية (19 عاماً) ولم يفعل هذه البدعة
وجاءت الدولة (الأموية) وفيها مثل (عمر) بن عبدالعزيز
وجاءت الدولة (العباسية) وفيها مثل (هارون) الرشيد
ولم يفعلوا هذه البدعة التشريعية
لأنهم اشد الناس حباً للنبي ﷺ واتباعاً له
وهم (السلف الصالح) حقاً و(احباب)المصطفى ﷺ صدقاً
ونحن نقول :
لو كان خيراً لسبقونا اليه

محاجّة على الطريقة السلفية!

المحامي عبدالرحمن اللاحم يقول ان اغلاق المحلات وقت الصلاة لا سند شرعي له، وانما هو مجرد عادة اكتسبت شرعية. والصحافي وحيد الغامدي، يرى لو أن الملك سعود وافق على طلب ابن ابراهيم بايقاف السيارات لأصبح اليوم من الثوابت؛ وتحدّى آخرون من يأتيهم بدليل من القرآن والسنة يأمر صراحة باقفال محلات التجارة والبيع وقت الصلاة عدا صلاة الجمعة فقط؛ والمحامي نايف آل منسي طالب بإعادة النظر في الإقفال، وكذلك في مبدأ (الهداية القسرية) للمجتمع.

المؤيدون لإقفال المحلات التجارية وقت الصلاة، حولّوا الموضوع الى مواجهة للخصوم. قال الهزاني راكان (مناظر التديّن تغيض أدعياء الليبرالية. المسألة ليست اقتصادية او اجتماعية وانما وصيّة ابليس)؛ واختصر الجدل على هذا النحو: (هل نعين المصلي على أداء مناسكه، أم نفتح وقت الصلاة لنعين تارك الصلاة على شراء بضائعه؟).

بعضهم اعتبر دعاة السماح بفتح المحلات التجارية وقت الصلاة تاركون للصلاة، وهذا ما رفضه الاعلامي سراج الغامدي، فالناس يعرفون دينهم جيداً. وخالد الشمري يقول: (اقفال المحلات وقت الصلاة ليس تركاً للصلاة وليس كفراً، فلماذا خلط المفاهيم والتضييق على البشر؟).

قال معارضو فتح المحلات وقت الصلاة مناكفة مع خصومهم في الرأي أن (الصلاة ثقيلة على المنافقين)؛ وسأل محمد الأنصاري: (خايفين على أرزاقكم لا تطير وهي بيد الله؟ كيف وأنتم لا تستجيبون لصوت الحق). ومازن الهذلي يستنكر: (لم تسقط صلاة الجماعة عن المسلمين وهم تحت قعقعة السيوف، فشرعت لهم صلاة الخوف، ثم يريد البعض إسقاطها لأجل ريالات)؛ وذو الميول الاخوانية ماجد الرويلي يشتم من أسماهم أدعياء الليبرالية الذين تحولوا الى رجال دين ومفتين: متى كان يهمهم قال الله وقال الرسول؟! وخاطب احدهم إبليس الرجيم: (الأمور هنا تسير على النحو الذي تريد، حيث أصبح الناس أكثر سوءً منك) أي لأنهم لا يريدون اقفال المحلات وقت الصلاة.

نوال الهوساوي: مع قانون يثبت حق العامل في الراحة وأداء الصلاة

وانتقد كثيرون عضو هيئة كبار العلماء الشيخ صالح الفوزان لقوله بوجوب اقفال محلات التجارة وقت الصلاة، واستشهاده بالآية الكريمة في غير محلها او بغير مؤدياتها: (رجالٌ لا تُلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة)، وقالوا انه ليس بعالم أصلاً. لكن آخرين لفتوا الانتباه الى حقيقة أنّ اغلاق المحلات او فتحها امرٌ بسيط، مقارنة بالربا والظلم وأكل حقوق الشعب، وضياع الدين، وتمييع العقيدة؛ فيما حاول آخرون استثناء محطات الوقود على الطرق الخارجية السريعة وكذلك الصيدليات، دون الحاجة الى اقرار هذا الحق للجميع.

الاعلامي محمد المعارك لاحظ موضوع هوية الدولة والمجتمع، وافتخر بأن السعودية هي الدولة الوحيدة التي تقفل المحلات عند سماع الأذان. ومثله آخرون رأوا ان اقفال المحلات تشعر المرء بأنه في بلد محافظ؛ وانها سنّة حميدة وليست بدعة؛ بل ان اقفال محلات التجارة وقت الصلاة هي ـ حسب أحدهم ـ أجمل حاجة

في السعودية.

لكن كل هذا الجدل لا يفيد. فالقرار النهائي بيد الملك وابنه محمد ولي العهد، وهما سيحسمان القضايا مثار الجدل بالطريقة التي يريدونها، ويجدون فيها منفعة لحكم العائلة المالكة.

وفي حال تم اقرار قانون يسمح بفتح المحلات وقت الصلاة، تلفت الناشطة الحجازية نوال الهوساوي النظر الى أن اغلب العمالة في المحلات أجنبية، وملايين منها غير مسلمة، وهي تحتاج الى راحة وقت الصلاة والغذاء، وطالبت بقانون يحمي حق العامل في أداء الصلاة.

(٧)

تحولات وتغييرات قادمة

تواصلاً مع التحولات الاجتماعية وتغيير هوية الدولة، وضع المعارضون لما سمي بالصحوة السلفية هاشتاقاً يؤذن بنهايتها بعد اعتقال رموزها: (المملكة تنفض غبار الماضي)، قال فيه الاعلامي عبدالله المقحم: (آن الأوان ان يرى العالم الوجه الجميل للمملكة الذي شوهته الصحوة الكاذبة) مع ان اب الصحوة هو الملك فهد، فهو الذي دفع بها ومكن رجالها لغايات سياسية. والاعلامي محمد العثيم يرى ان المملكة بدأت تنفلت من العالم النامي او النائم وأخذت بمسيرة التقدم؛ فيما أوضح الصحفي وحيد الغامدي بأن غبار الماضي لا يعني القيم والهوية والتدين، بل حقبة مزايدات عشوائية. ودعا تركي الحمد الى احداث تغيير في هيئة كبار العلماء؛ والكاتب علي الشعيبي هاجم الصحويين الذين يتحدثون عن المودة والحرمة كأنهم حمل وديع، وفي ابسط اختلاف يكشرون عن انيابهم يهددون ويكفرون؛ ولاحظ انهم وخطباء الجمعة لازالـوا يدعون للمجاهدين في العراق وسوريا بالنصر، وسأل: ترى من يقصدون؟!

الاعلامي محمد العثيم: المملكة تنفلت من العالم (النائم)!

فارس بن سعود يرد: (لا رفعة الا بالإسلام وليس بالتحرر. الإلتزام بالشريعة لا يعتبره غباراً إلا خنزيرٌ نجس)؛ ورد آخر، معرضاً بأعداء الصحوة، بأن المنحلين هم من يرون ان التطور يكمن في قيادة المرأة وحفلات الاختلاط. اما الاعلامي عبدالله العلمي فسخر من الصحويين والتيار السلفي عموما فقال: (الطفلة في العاشرة من عمرها امرأة ناضجة وجاهزة للزواج، وعندما تبلغ الأربعين تصبح قاصراً وتحتاج لإذن من ولي أمرها لسفرها وعملها وعلاجها). وحذرت السلطوية نهلة العنبر من الصف الإخواسلفي الصحوي الثاني، الذي يحرك التنظيم وقد يتلبّس بلباس الوطنية.


الكاتبة السلطوية نهلة العنبر

وتواصل الهجوم على مشايخ الوهابية ودعاتها بمختلف توجهاتهم في هاشتاق (مواقفك من الصحوة)، قالت فيه احداهن: (هذا التاق يعطي إيحاءً بأن الصحوة كانت حقبة ورحلت، مع انه لدى دخولك أقرب مدرسة ستكتشف أنها اختطفت التعليم ولازالت تتنفس فيه). وتقول الصحفية هيلة المشوح ان الصحوة جلبت الفكر التجسسي ومارسته ضد الناس في البيوت والمدارس والجامعات والاستراحات والأعمال. تجاوبت مع الحملة اخرى فقالت ان الصحوي يحرّم الزنا ويحلل المسيار، ويحرم الأغاني ويحلل الأناشيد، ويحذّر من الإبتعاث ويرسل عياله يدرسون في الخارج. وزاد آخر: (الصحوي يحرم جميع اعمال الدولة الا التدريس، ويحرم جميع البنوك الا بنك الراجحي)!

وفي وقت أعلن وزير الخارجية عادل الجبير ان الحكومة فصلت آلافاً من أئمة المساجد بعد ثبوت نشرهم التطرف؛ دافع جمال خاشقجي عن زميله المعتقل مالك الأحمد الذي كان يشاركه في غروب في الواتس أب؛ فسخر منه احدهم متحدثا على لسانه: (انا اسمي مكتوب؟)، ورد الخاشقجي: (اسمك غير مكتوب.. الجميع خايفين، كثُر صامتون، الغروبات باهتة، مديرها يحذر ويذكّر بالتعليمات، البعض ينسحب بهدوء، هل هذا ما تريدون؟). وذكر موالٍ للسلطة بأن مالك الأحمد كان رئيس اللجنة التي تضع مناهج الفقه والتوحيد للمدارس. اي يجوز اعتقاله!

السلفيون الموالون قالوا ان الدولة ضد الليبراليين وضد الإخوانيين، وأن أصفى أناسٍ هم أتباع السلفية؛ كما يرى الامير عبدالعزيز فهد آل سعود. وظهر هاشتاق ضد الليبراليين بعنوان (شعب المملكة ينبذ الليبرالية)، حيث طالب احدهم بملاحقة رموزهم ومحاربة فكرهم وتطهير مفاصل الدولة منهم. هذا تحريض مقابل التحريض!

خلاصة

- إقرار حق المرأة بقيادة السيارة مثل سقوطاً لـ (أسوار برلين) حسب تعبير الكاتب توفيق السيف، له تداعياته السياسية والاجتماعية والنفسية والإقتصادية وحتى الأمنية.
- هذا الحق، مجرد خطوة في مسيرة طويلة لا يستطيع النظام إيقافها، او حتى ضبط إيقاعاتها، ما يشي بتغييرات في صلب هوية الدولة السعودية، وتحولها بشكل سريع عن أيديولوجيتها الحافظة للنظام السياسي، ونقصد بها الأيديولوجية الوهابية.
- هذه التحولات التي وقعت والتي يتوقع ان تقع في المستقبل، قضت على ثنائية السلطة (العلماء والأمراء) فأصبحت الدولة برأس سياسي دون الديني الوهابي الذي تم اخضاعه. ولهذا الفعل آثاره السلبية على شرعية النظام، وإحداث شروخ في قاعدته الاجتماعية النجدية الوهابية.
- من الصعب توقع أن تمضي تغييرات محمد بن سلمان على صعيد المرأة، دون أن يحدث ذلك قلاقل أمنية، وهناك من توقع حدوث موجة عنف داعشي بعد هزيمة داعش في العراق وسوريا ولبنان، فكيف وهذه التحولات قد هيّأت المناخ المحلي لنمو داعش ونشاطها؟
- تأتي هذه التحولات في وقت يعاني فيه النظام من صعوبات عديدة، وهزائم منكرة على الصعيد الخارجي، فالعائلة المالكة منشقة على نفسها، والمجتمع مذهول من التحول الاقتصادي للدولة من دولة ريعية الى دولة ضرائبية، فضلاً عن سياسة التقشف التي فاقمت المصاعب المعيشية للمواطنين، وهذا الانحباس يتطلب اصلاحات سياسية تنفيسية لا يرغب الملك وابنه بها.
- التحولات التي نتحدث عنها ستقوي القائد الشخص (محمد بن سلمان)، لكنها تفتت المؤسسة وتكسر الأعمدة التي تشكل النواة الصلبة الرافعة والحامية للنظام (العائلة المالكة، المؤسسة الدينية، وغيرهما).
- لن يكون مستقبل السعودية في المدى المنظور مريحاً، رغم ان هناك الكثير من التفاؤل غير المسنود الى حقائق الاجتماع والسياسة.





ترامب وسلمان ونتنياهو: حلف الفجّار!

احتفاء باستراتيجية ترامب التصعيدية ضد ايران

السعودية ترقص فرحاً وتتمنى الحرب!

توفيق العباد

يفترض ان يكون حكام السعودية وإعلاميوها اكثر حصافة وحكمة في تعاملهم مع ملف العلاقات مع ايران، وخصوصا الصراع الذي يحاول الرئيس الاميركي تفجيره مستعينا بخدماتهم. فهم اصحاب تجربة كبيرة، ومن ابناء المنطقة الذين عايشوا التطورات والاحداث جميعا، ويفترض ان يكونوا قد اكتسبوا خبرة وافية، بعكس ترامب الطارئ على السياسة، قليل الخبرة، وربما المعرفة بحقائق التاريخ.

كان على ال سعود ان يسألوا: مالجديد الذي اضافه ترامب الى العلاقات الاميركية الايرانية؟ وماذا بعد خطابه عالي النبرة لفظياً ضد ايران، المتواضع بل المتراجع من حيث المضمون؟ وما هي الاليات التي ينوي استخدامها لوضع استراتيجيته موضع التنفيذ؟ وما هو الدور الموكل لهم ولاسرائيل تنفيذه في سياق هذه الاستراتيجية التي يجري الحديث عنها؟

الصحف السعودية حفلت بالعديد من العناوين والتحليلات التي تعدت صيغة الخبر الى قاموسها المشبع بتسعير الاحقاد والشتائم والالفاظ الهابطة.. واذا صرفنا النظر عن كل ذلك نجد ان المملكة تشعر بالسرور والغبطة للموقف الاميركي، وتعتبره تماهيا وانسجاما مع الموقف السعودي في هذا المجال، كما تؤكد اصطفافها خلف الحلف الجديد الذي ينوي ترامب تشكيله، حتى وان كان مقتصرا عليها وعلى اسرائيل، الى الحد ان الملك سلمان اتصل بترامب مباركاً تصعيده ضد ايران.

عبد الرحمن الراشد اعتمد التهويل بخطر هيمنة ايران على المنطقة، خلال سنوات، اذا ما تُركت دون رادع، في حين أنه نفى ان يكون ترامب متهورا، او انه يقرر بلا تقدير للعواقب، محاولاً اضفاء الرصانة والحكمة على موقف الرئيس الاميركي. واعتبر الراشد القرار الأميركي شجاعاً "لم نرَ مثله منذ عقدين، ويمكن أن يكون بداية تصحيح إقليمية أو على الأقل وقف الزحف الإيراني".

خالد بن حمد المالك ابدى حرصا شديدا على هيبة اميركا التي فرط فيها اوباما واستعادها ترامب. وشدد على عودة الرئيس الاميركي الى صيغة العمل مع حلفائه الاقليميين؛ ومشاري الذايدي بلغ به الشطط مبلغا بعيدا بالحديث عن (ساعة الحساب)، وعن (حزم اميركي) شبيه بـ (الحزم السلماني).

لا يجوز ان ينبري من يدري ومن لا يدري من الكتاب، لقضية خطيرة على السعودية والعالم، بهذا الاستخفاف والسطحية في المعالجة والتحليل.

ما الجديد في الموقف الاميركي، الذي يستحق ان يحتفي به المسعودون فيعتبرونه فتحا ترامبيا تاريخيا؟

فالعلاقة بين واشنطن وطهران ظلت متوترة منذ انتصار الثورة الايرانية، ولم يتوقف العداء الاميركي والتهديدات لها لحظة واحدة، كما لم تتوقف المحاولات الاميركية للعدوان عليها وتدبير الانقلابات، او الانشقاقات الداخلية، او الغزو الخارجي، او التحريض والتشويه، وصولا الى اقامة التحالفات المذهبية وتسعير الفتنة الطائفية في المنطقة.

تاريخ العلاقة بين امريكا وايران سلسلة متواصلة من العداء، وما يقوم به ترامب لا يعدو ما يفعله اي رئيس اميركي، جمهوري او ديمقراطي، حيث يبدأ عهده بمحاولة الترهيب والتهديد، وينتهي الى ما انتهى اليه اسلافه. فهل كان الرؤساء السابقون حمامات سلام، وترامب هو الصقر الوحيد؟

رغم كل العداء والتآمر الأميركي، لم تتورط واشنطن في حرب مباشرة مع ايران، لازال نتنياهو وال سعود يحلمون بها. هذا الاحجام الاميركي لا يعود الى عفة وترفع عن خوض الحروب، فقد جربتها مراراً ودمرت خلالها دولا بأكملها، وأسقطت انظمة، وقتلت عمدا وقهرا ملايين المدنيين الابرياء دونما مبالاة ودونما اعتبار للأمم المتحدة.. الا ان واشنطن لم تواجه ايران عسكرياً تهيبا وخشية من التداعيات الكارثية، ولعدم الثقة بأن نصراً ممكن التحقق.

لذا.. فعلام يراهن المتحمسون السعوديون لحرب امريكية ضد ايران؟ ألم تكفهم ارتدادات الحرب على العراق التي لا يزالون يدفعون فواتيرها، ماديا وامنيا وسياسيا؟

من جهة اخرى، لا يعرف السعوديون ايران على حقيقتها، في حين يعرفها الغربيون جيداً. ايران اليوم، تختلف عما كانت عليه قبل اربعة عقود، سواء من حيث القدرة العسكرية والاقتصادية، أو من حيث تحالفاتها الاقليمية والدولية، أو من جهة تماسكها الاجتماعي ونهضتها العلمية، حيث يبز العلماء الإيرانيون نظراءهم في الدول المتقدمة في مجالات شتى.

ما أزعج السعودية هو تآكل نفوذها السياسي في المنطقة، تماشياً مع تراجع الدور الأمريكي، وضعف الدول الحليفة كاسرائيل التي ترى خطراً حقيقياً ووجودياً قادماً من ايران وحلفها. لهذا ظهرت الاسطوانة السعودية المشروخة، بأن ايران تتدخل في شؤون الدول العربية، وكأن الدول المعنية سعودياً لا والي لها ولا حكومة تتحدث باسمها؛ وكأن التدخل الامريكي والاسرائيلي مسموح به وهو من النوع الممدوح وليس المذموم!

التدخل المذموم هو ما تقوم به أمريكا وحلفاؤها، وفي مقدمهم السعودية، التي تسعى الى تغيير الانظمة بالقوة العسكرية وبالتدخل الخارجي، والتي تثير الفتن والقلاقل في الدول المستقرة لتحقيق مشاريع سياسية تعدها دوائر المخابرات الاجنبية، واوضح مثال على ذلك ما يجري في سوريا والحرب العدوانية السعودية الأمريكية على اليمن.

اما تبرير امريكا والسعودية واسرائيل مواجهة ايران على يد ترامب بأن طهران تدعم الارهاب، فلا قيمة له، وكل المعني هو دعم حماس وحزب الله. اما داعمو الارهاب الداعشي والقاعدي فهي السعودية وحلفاؤها الأمريكيون.

حرب ترامب واللوبي الصهيوني على ايران، لا مصلحة للسعودية ولا للشعوب العربية في الدخول في اتونها، خاصة وان حماسة الرياض للحرب تصطدم مع محدودية قدرتها العسكرية والاقتصادية لخوضها.

الأحقاد والضغائن السعودية أعمت أمراء الرياض عن التفكير في مآلات سياسة ترامب، ليس فقط على المنطقة بل وعلى بلده، وكما قال الكاتب الاميركي نيكولاس كريستوف: (لنحو اربعين سنة، جربت الولايات المتحدة ان تعزل ايران. وانتهى الامر الان الى ان سياسة ترامب تجاه ايران يبدو انها تعزل اميركا).

لم يؤيد ترامب في سياسة التصعيد مع ايران سوى اسرائيل والسعودية، وكلا البلدين يؤكّدان أنّ ترامب تماهى مع سياساتهما، وتبنّى حرفيًا موقفهما!

وضع ترامب امام الكونغرس ثلاثة اسباب موجبة للعقوبات: انتاج ايران ونشر صواريخ باليستية.. ورفض التفاوض على توسيع القيود الحالية على نشاطاتها النووية.. والتثبت من ادلة على تقارير استخبارية تؤكد قدرتها على انتاج قنبلة نووية خلال اقل من اثني عشر شهرا.

وصدور تشريعات مثل هذه تتطلب موافقة ستين من اعضاء مجلس الشيوخ، بما يعني ان الجمهوريين يحاجون الى ثمانية اصوات ديمقراطية، وهو امر غير مرجح دون الحصول على ضمانات بالمحافظة على الاتفاق. ولهذا فقد شدد ترامب على انه في حال لم يتمكن من التوصل الى توافق مع الكونغرس ومع حلفائه الاوروبيين فإنه سيقرر الخروج من الاتفاق بمفرده.

واضح ان فريق ترامب ومستشاريه ممن يمثلون اللوبي الصهيوني في الادارة الاميركية، قد وضعوا الافخاخ للوصول الى هذه النتيجة، فهم اذ يعرفون ان ايران سترفض حكما التفاوض على اي بند في الاتفاق، ويشككون بقدرتهم على اقناع رجال الكونغرس في السير في ركاب سياساتهم المتهورة، ويعرفون سلفا ان عودة الاوروبيين للاصطفاف حول هذا الموقف التصعيدي بعيد المنال، لذا فقد وضعوا البند الثالث الذي يمكنهم بسهولة فبركته، عبر تقارير مخابراتيه تثبت وجهة نظرهم، كما سبق ان فعلوا ذلك مرارا، في الملف النووي الايراني وملف اسلحة الدمار الشامل العراقية.

ولهذا فقد سارع الزعماء الاوروبيون المعنيون، رئيسة الوزراء البريطانية والمستشارة الالمانية والرئيس الفرنسي، الى اصدار بيانهم الصارم بالتزامن مع اذاعة بيان ترامب، والذي أعلنوا فيه تمسكهم بالاتفاق النووي مع إيران، وأعربوا عن قلقهم من التبعات المحتملة لموقف ترامب.

البيان المفاجئ وغير المعتاد في الرد، ومناوأة السياسة الاميركية بشكل معلن، أكدا رغبة الدول الثلاث في الحفاظ على استمرارية خطة العمل المشتركة الشاملة بخصوص الاتفاق النووي والتزام كافة الأطراف بها، الأمر الذي يخدم المصالح الوطنية المشتركة، وشدد البيان على تصميم الزعماء الثلاثة على إدامة الاتفاق الذي كان ثمرة ثلاثة عشر عاما من المفاوضات المضنية بين ايران والدول الست .

زعماء اوروبا واعلامها الحر يحذرون من تهور السياسة الاميركية، في حين أن كتاباً سعوديين ينطقون بايحاء من رغبات امرائهم يثنون على سياسة ترامب المتهورة؟.

صحيفة الغارديان عبرت عن المشهد بعنوانها الرئيسي: ترامب يفشل اذ يغرد خارج السرب، فيثير قلق اصدقائه، ويزيد لحمة اعدائه. كما شدد مراسل الصحيفة في واشنطن ديفيد سميث على ان المحللين في العاصمة الاميركية يعتقدون ان قرار ترامب السير بمفرده، واطلاق النار على برامج الرعاية الصحية (اوباما كير) وعلى ايران، يعكس احباطه المتفاقم من قيود السلطة الرئاسية. ونقل عن جون كيللي كبير موظفي البيت الابيض قوله ان رجال الكونغرس يشعرون بالاحباط من سياسات الرئيس، اذ ان الجالس في البيت الابيض يبدو رجل اعمال اكثر منه زعيما سياسيا. بينما ركزت الفاينننشيال تايمز على ان زعماء العالم ردوا بعنف على محاولات ترامب احباط الاتفاق مع ايران.

هذه هي صورة الموقف الدولي والاميركي والتي تؤكد التخبط الذي تعانيه سياسة ترامب وبرامجه تجاه ايران، وان ما يسميه الاعلاميون السعوديون استراتيجية المواجهة لا يأبه بها احد، ولا يعيرها اي اهتمام.. وهو ما يخشى ان يتحول الى مجموعة مغامرات يدفع السعوديون وشعوب المنطقة ثمنها.




عودة سعودية الى لبنان بأحصنة جديدة!

مسعى سعودي لتحالف يغطي عدواناً صهيونياً

لبنان من جديد.. ساحة سعودية للمواجهة!

فريد أيهم

لفت المراقبين ارتفاع النبرة التي يتحدث فيها الامين العام لحزب الله تجاه السعودية، التي تحولت الى تيمة دائمة في خطاباته الاخيرة. ومع تقدير هؤلاء المراقبين الى ان السيد حسن نصرالله يخصص اطلالاته الاعلامية لتوجيه رسائل الى الجهات المعنية، واطلاق صفارات الانذار من حروب او ازمات مقبلة، جاز التساؤل ما هي الرسالة التي يوجهها السيد الى حكام المملكة، وما هي اسبابها؟ وهل هناك علاقة بين تحذيراته وما تخطط له السعودية لاعادة تحويل لبنان ساحة للمواجهة؟ وهل يتم ذلك بالتزامن ام بالتنسيق مع الحملة الاميركية على ايران واطراف محور المقاومة ومن بينها حزب الله؟

اسئلة شغلت الاوساط اللبنانية، وشكلت محورا جديدا لقراءة مستقبل الصراع في المنطقة، الذي تحاول السياسة الاميركية نقله من ازمة الى اخرى، وذلك لابقائه في دائرة التوتر والتآكل، تمهيدا لانجاز الملفات الكبرى، ومن اهمها التسوية في ملف القضية الفلسطينية.

تحت عنوان: (ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان يدير العملية مع ضباط مخابرات.. السياسيون غائبون عن المخطط لكن الجيش اللبناني معلوماته كاملة وسيحفظ الامن).. كتبت صحيف الديار اللبنانية تقول ان السعودية فشلت في اليمن والعراق وسوريا، وفي حصار اليمن، وفشلت في ادارة اقتصادها، كما فشلت فشلاً كبيراً في سوريا، ولذلك تحاول نقل الفتنة الى لبنان، وكلفت وزير شؤون الخليج ثامر السبهان باطلاق حملة اعلامية ضد حزب الله، ومن ثم الدعوة الى اتحاد دولي لضرب المقاومة.

وكشفت الصحيفة ان ولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان اجتمع مع ضباط مخابرات سعوديين لاشعال الفتنة السنية ـ الشيعية في لبنان، بعد الفشل الكبير والسريع للمملكة في سوريا وكل المنطقة، وهي الهزيمة الكبرى.. والتغطية على مشكلة كبيرة بالنسبة لاضطهاد المواطنين السعوديين الشيعة في المملكة.

وبالتزامن مع هذه النوايا السعودية انطلقت في واشنطن حملة لاعادة شيطنة المقاومة الى الواجهة، من اعادة تنشيط الحملة الاعلامية التي تركز على تشويه سمعة حزب الله والصاق صفة الارهاب به، وفرض عقوبات اميركية على بعض قيادييه، حتى وان كانت مجرد فرقعة اعلامية لا قيمة عملية لها.

وتساءل احد المراقبين عن العلاقة بين الحديث عن المظلومية السنية وسلاح حزب الله وتدخله في سوريا من جهة، والزيارات الغامضة الى السعودية لبعض السياسيين اللبنانيين من ذوي توجه معروف بعدائيته للمقاومة، من جهة ثانية؟ ومن هو المستهدف الحقيقي في الهجمة السعودية المتجددة على الساحة اللبنانية؟ هل تريد الرياض معاقبة الرئيس ميشال عون؟ او تأديب ابنها المتخاذل سعد الحريري؟ ام ان الهدف هو تفجير الصراعات بوجه حزب الله لارباكه واشغاله؟

الساحة الداخلية اللبنانية تمور بالاسئلة والاجابات ايضا، في محاولة لفهم ابعاد العودة السعودية الى لبنان من بوابة الازمات، واعادة تحريك الاوضاع الداخلية ووضعها على حافة الانفجار.. والملاحظ انه لا احد ينظر الى التحرك السعودي الاخير نظرة عادية، بل يكاد يكون هناك شبه اجماع عن خطة تخريبية جديدة، وإثارة ازمة

بين القوى الداخلية اللبنانية. وما عزز هذه الرؤية ان النظام السعودي اتبع اسلوبا غريبا ومستغربا، سواء من حيث الجولات التي يقوم بها ثامر السبهان، او من حيث اسلوب الاستدعاءات الى الرياض لشخصيات لبنانية، على طريقة ما كان يفعله غازي كنعان ايام الوصاية السورية.

مصادر ١٤ آذار، أكدت لموقع "ليبانون فايلز"، ان زيارات السياسيين الى السعودية (والتي شملت حتى الآن جعجع والجميل)، ستليها زيارات لفرقاء لبنانيين آخرين الى جدة او الرياض، بحسب مكان تواجد ولي العهد، مشيرة الى ان الوزير ثامر السبهان قدم تقريره النهائي لولي العهد الذي تحرك على اساسه، والمرحلة المقبلة مع السعودية في لبنان ستكون مختلفة كثيرا لان المملكة قررت العودة الى لبنان بقوة عبر سفير جديد، وفريق عمل جديد، وسياسة مواجهة لحزب الله مختلفة عن الماضي. واضافت المصادر أن السعودية تريد ان تحسم مواقف الاطراف اللبنانية على طريقتها المعهودة، اما معي واما ضدي.. ولا مكان للون الرمادي! لان المنطقة مقبلة على انقسام كبير بين معسكرين، مع بروز مؤشرات الى قرب نهاية الحرب السورية، واقفال ملف الارهاب الذي تولت السعودية تمويلة، وواشنطن تسويقه، لتغيير مجريات الصراع، واضعاف القوى جميعا في المشرق العربي، وصولا الى اقناع طهران بالتخلي عن تدخلها في شؤون المنطقة..

ولكن اذا كانت واشنطن تفقد سيطرتها على خيوط اللعبة السورية، ولا تبدي رغبة في التسوية مع روسيا، وهي تزداد تهميشا في العراق مع سقوط سيناريو الانفصال الكردي بالضربة القاضية، في وقت يبدو فيه ان كل خسارة اميركية تتحول الى ربح ايراني.. فلماذا اذن هذه الحملة الكلامية على ايران، وحلفائها بدءا من العقوبات وانتهاء بالملف النووي؟

الجواب: القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي!!

والاستراتيجية الاميركية الراهنة تقوم على شل قدرة حلفاء ايران في محور المقاومة، وارباكها بالدفاع عن ملفها النووي، ورد سيف العقوبات عن اقتصادها وحرسها والاستثمارات الاوروبية فيها.

الجائزة الكبرى التي يسعى دونالد ترامب للفوز فيها، هي ورقة التسوية بين الفلسطينيين واسرائيل، وهو الملف الذي يعمل عليه جاريد كوشنير صهر الرئيس ومستشاره، والذي في اطاره تجري المصالحة الفلسطينية برعاية مصرية، بعد ان تغاضت القاهرة بطلب اميركي عن كل مآخذها على حركة حماس، التي اتهمتها بدعم وحماية جماعة انصار بيت المقدس الارهابية الناشطة في غزة.

وفي اطار لعبة توزيع الادوار على فريق العمل الاميركي في المنطقة، كانت حصة السعودية ارباك حزب الله واعادته الى مربع الدفاع والحصار في لبنان، ومحاولة اخراجه من سوريا.

تحالف ١٤ آذار جديد

مطلعون يرصدون خطة التحرك السعودي في ثلاثة اتجاهات متكاملة:

الأول ـ إبقاء سيطرة الرياض على اغلبية نيابية وازنة تقيد حركة المجلس التشريعي، والتحكم في مسار الحكومة وتوازناتها.

الثاني ـ شل رئاسة الجمهورية التي عجزت عن احتوائها وضمها الى تحالفها المعادي للمقاومة.

الثالث ـ تكثيف الضغوط على حزب الله وصولا الى التفجيرات الأمنية.

ومن الملاحظ ان السعودية بكّرت في طرح ملف الانتخابات النيابية، وسبقت بذلك القوى المحلية، ادراكا منها بأن لعبة التمديد للحفاظ على تركيبة المجلس الحالي للمجلس النيابي باتت صعبة جدا، بعد ان استنفدت كل وسائل التحايل على القانون، وهي مدعوة لاعادة انتاج التحالفات الداخلية التي تؤمن لها اكثرية نيابية في البرلمان المقبل.

ولهذا فإن الهدف الاول من الاستدعاءات الموجهة لبعض الزعماء المسيحيين تأتي في هذا الاطار، لاقامة تحالف مع بعض الوجوه السنية الجديدة، وربما بما يتجاوز آل الحريري في المرحلة المقبلة، على أن يكون النائب وليد جنبلاط من ضمن المحور المحسوب على



عون.. التكيّف مع النزق السعودي!

الفريق المواجه لفريق "حزب الله" في الحكومة، وهذا ما كشف عنه القيادي في تيار المستقبل النائب السابق مصطفى علوش ،الذي قال في الرابع من اكتوبر الجاري تعليقا على زيارة جعجع وسامي الجميّل الأخيرة إلى السعودية، ان المملكة تريد العودة إلى تحشيد المتفاهمين معها حول المسألة الإقليمية، في ظل عمل محور الممانعة الذي تترأسه إيران، لإقناع الجميع بأنهم هم المنتصرون وعلى الآخرين الاستسلام.

وفي هذا الإطار يأتي قرار السعودية تعيين الدبلوماسي وليد اليعقوبي سفيراً لها لدى لبنان.

ولم تأت دعوات السعودية للقيادات اللبنانية الى الرياض صدفة ولا هي بريئة، بل هي درست الساحة اللبنانية وارسلت ضباط مخابرات سعوديين الى لبنان، اجتمعوا مع قيادات سياسية لبنانية، وجاؤوا بجوازات سفر ديبلوماسية، كما ان السفير السعودي ومسؤولين موجودين داخل السفارة، قاموا بتحضير الدعوة للقيادات اللبنانية، وبدأت الاشارة من المسؤول السعودي سبهان بعبارته: ان على اللبنانيين ان يختاروا بين الدولة وحزب الله.

وفي هذا السياق، يبرز دور الوزير السابق اللواء أشرف ريفي، الذي حاول قبل ايام احراج السفير السعودي، برفع شارة النصر وهو يمسك بيده في ظهور شعبي، وهو ما تردد فيه المسؤول السعودي بشكل علني. وكان ريفي قد كثف في الاسابيع الماضية من تصريحاته المعادية

لما يسميه المشروع الإيراني، ومنع (حزب الله) من وضع يده كاملاً على البلد، بحسب تعبيره، للتماهي تماما مع الخطاب السعودي، واحراج رئيس الحكومة سعد الحريري، الذي يتهمه السبهان بأنه فقد دوره، عبر الغرق في ما عرف بالتسوية الرئاسية، التي اتت به الى رئاسة الحكومة التي يتحكم بها حزب الله، بحسب المفهوم السعودي.

عزل رئيس الجمهورية

لقد اساءت السعودية بشكل مباشر الى رئيس جمهورية لبنان العماد ميشال عون، بتجاهله في دعوة القيادات السياسية اللبنانية، من رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع الى رئيس حزب الكتائب سامي الجميل واللواء اشرف ريفي وفارس سعيد منسق حركة ١٤ آذار والدكتور رضوان السيد، والرئيس نجيب ميقاتي، والوزير السابق محمد الصفدي، والنائب وليد جنبلاط.. دعوتهم الى الرياض، خارج أي تشاور مسبق مع الرئاسة اللبنانية.

وليس خافيا ان هذه التحركات السعودية التي تفتقد الى اللياقة الدبلوماسية، وتخالف الاعراف الدستورية والسياسية اللبنانية، تأتي على خلفية موقف عدائي لم يعد سرا ضد الرئيس عون شخصيا، والتيار الوطني الحر، قاعدته الشعبية المسيحية.

في الاول من نوفمبر تشرين الثاني ٢٠١٦، وغداة انتخابة رئيسا للجمهورية في ٣١ اكتوبر، كانت السعودية من اوائل الدول التي بادرت لتهنئة عون في برقيات بعث بها الملك سلمان وولي العهد محمد نايف (قبل عزله) وولي ولي العهد محمد بن سلمان. وفي ٢١ نوفمبر وصل خالد الفيصل امير مكة مبعوثا من الملك لتهنئة عون ودعوته لزيارة السعودية. وفي٩ يناير ٢٠١٧ اختار عون أن تكون زيارته الأولى بصفته رئيسا للدولة اللبنانية إلى السعودية، على رأس وفد وزاري موسع، الأمر الذي رأى محللون أنه لا يخلو من الرسائل والدلالات.

وحتى هذه اللحظة كانت الامور تسير باتجاه علاقة وطيدة، دفعت الكثيرين الى التساؤل عن سر هذه العقلانية غير المعتادة في السياسة السعودية، بل ذهب كثيرون الى نسج حكايات عن رد فعل حزب الله الذي فاجأ الجميع وبادر الى مباركة هذه العلاقة، دون التدخل في عمل رئاسة الجمهورية.

الا ان شهر العسل لم يدم طويلا! ففي ١٣ فبراير ٢٠١٧ زار الرئيس عون القاهرة، بعد ساعات من ادلائه بحديث إلى قناة "سي بي سي" المصرية، ردّ فيه على سؤال حول مستقبل سلاح "حزب الله"، فقال انه "طالما هناك ارض تحتلها اسرائيل التي تطمع ايضاً بالثروات الطبيعية اللبنانية، وطالما ان الجيش اللبناني لا يتمتع بالقوة الكافية لمواجهة اسرائيل، فنحن نشعر بضرورة وجود هذا السلاح، لانه مكمّل لعمل الجيش ولا يتعارض معه، بدليل عدم وجود مقاومة مسلحة في الحياة الداخلية".

وسرعان ما انفجر الغضب السعودي في ٦ مارس الماضي، اذ سربت المصادر السعودية خبرا عن الغاء العاهل السعودي زيارته الى لبنان التي كان قد وعد بها. وربطت المصادر بين الغاء الزيارة الملكية وتصريحات عون للقناة التلفزيونية المصرية، اضافة الى استياء السعودية من زيارته الى مصر، حيث بحث مع الرئيس السيسي مسألة اعادة سوريا الى الجامعة العربية، بحسب المصادر السعودية. وما لبث أن عادت الرياض الى لغة التهديد والمقاطعة، وتراجعت مرة اخرى عن دعم الجيش اللبناني، بعد ان وعدت باستئناف المساعدة خلال زيارة الرئيس عون.

وبدأت السعودية هجمة عنيفة على الرئاسة اللبنانية من خلال تعمدها دعوة رئيس الحكومة سعد الحريري للمشاركة في القمة العربية – الإسلامية – الأميركية التي عقدت في الرياض في ٢١ مايو ٢٠١٧.

وبعد خمسة ايام هاجمت "عكاظ" الرئيس ميشال عون بالاسم، بشكل غير مسبوق، واسفاف عالي النبرة، في مقال بعنوان: (عون متعدد المرجعيات.. لا يعيش خارج الحاضنة)، ووصفته بأنه غريب، وهش وسفاح، وداعم لكذب صهره وزير الخارجية جبران باسيل، بسبب رفضه إعلان الرياض الصادر عن القمة العربية الإسلامية الأميركية. وكان باسيل قد رد على البيان الصادر عن القمة والذي زعم انه صدر عن المجتمعين ووقعوا عليه، وقال انه لم يطلع على البيان ولم يسمع به الا وهو في الطائرة عائدا الى بيروت، رغم انه حضر القمة، واطلع على مجرياتها.

من جانبه، اعتبر المدير العام للأمن العام السابق اللواء جميل السيد في تصريح له، أن وجود رئيس حزب القوات سمير جعجع في السعودية هو لمواجهة رئيس الجمهورية ميشال عون، والتحريض على عودة الخلاف والقطيعة بين حزب القوات والتيار العوني.

التصويب على حزب الله

صحيح ان العلاقة بين حزب الله والسعودية كانت متوترة منذ عدة سنوات، وربما منذ العام ٢٠٠٦، عندما انحازت المملكة الى جانب اسرائيل في عدوانها على لبنان.. الا ان تجدد المواجهة بشكل عنيف بين الطرفين كان مفاجئا للكثير من المراقبين، بعد فترة غير قصيرة من الهدنة والتهدئة، التي اعقبت التسوية الرئاسية في لبنان.


توليد ١٤ آذا جديد!

فمن غير مقدمات مفهومة، بادر ثامر السبهان الى القول عبر تغريدة على تويتر في ٤ سبتمبر، ان ما يفعله "حزب الشيطان" من جرائم لا إنسانية في أمّتنا، سوف تنعكس اثاره على لبنان حتما، ويجب على اللبنانيين الاختيار معه او ضده. هذه المقدمة تتضمن تهديداً صريحا بمعاقبة اللبنانيين اذا لم يصطفوا في اللعبة السعودية الجديدة لاثارة الفتنة الداخلية من جديد.

ومرّة جديدة، غرّد وزير الدولة لشؤون الخليج العربي، ثامر السبهان في ٨ اكتوبر الجاري بأن العقوبات الأميركية ضدّ "الحزب المليشياوي الإرهابي" في لبنان جيدة، ولكن الحلّ بتحالف دولي صارم لمواجهته ومَن يعمل معه لتحقيق الأمن والسلام الإقليمي. وبديهي ان هذه

التصريحات اثارت ردود فعل مناسبة من الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله.

استهداف سعد الحريري

صحيفة الحياة قالت ان هناك جهودا سعودية لإعادة إحياء "التحالف السيادي" في لبنان، وانها تهدف إلى إطلاع بعض الأفرقاء اللبنانيين الأساسيين، وبينهم الكتائب، على رؤيتها للواقع الذي ينزلق فيه وزير الخارجية جبران باسيل إلى المحور السوري– الإيراني. كما نقلت صحيفة السياسة الكويتية (المقربة من السعودية) عن مصادر لبنانية التقت ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، أن السعودية لن تتخلى عن لبنان وأنها لن تجعله فريسة سهلة للإيرانيين، وأن الرياض تنوي معارضة العهد من خارج الحكومة لادراكها بضعف الحريري وعدم قدرته على المواجهة، او القبول بدوره الممسك بالحكومة، ومعالجة الثغرات بمعارضة خارجية، هي خط الدفاع الثاني.

وفي كل مرة تعود فيها السعودية إلى أداء دور ما في لبنان، وتظهر الخلافات الداخلية مع حزب الله، يصبح الكلام عن نقمة سنية داخلية في الوسط السياسي مادة نقاش أساسي، ليس في اتجاه الحزب فحسب، وإنما أيضا في اتجاه الرئيس سعد الحريري نفسه؛ إذ فهم الكثيرون ان الحديث عن المظلومية السنية موجه اساسا ضد الحريري، اكثر منه ضد حزب الله.. او كلاهما على قدم المساواة.

كما ان محاولة خلق تيار ماروني – سني يعلي صوته عن المظلومية في اطار نخبوي وبين المثقفين من الطائفتين، يستهدف تطويق الطبقة السياسية التي يرى السعوديون انها باتت عاجزة عن مواجهة المقاومة وتيارها العابر للطوائف، وانها بسبب حركتها ضمن قنوات النظام لن تستطيع الايغال في هذا الاتجاه، لانها مضطرة في كل مرة الى عقد تسوية سياسية، تعيدها الى مربع التفاهم مع حزب الله الذي بات لاعبا اساسيا في التركيبة اللبنانية يستحيل تجاوزه.

محاولة التفجير الامني

لكن السؤال الذي يغلب على نقاشات اللبنانيين هذه الايام، هل تنوي السعودية تفجير الساحة اللبنانية؟ وهل تستطيع اذا ارادات؟ وما هي ادواتها لذلك؟

بحسب المطلعين على خفايا زيارة سمير جعجع الى الرياض، فإن الجانب السعودي طلب منه رفع وتيرة التصريحات المعادية لحزب الله، وتسخين الساحة السياسية للتغطية على احداث امنية مرتقبة. وفي سؤالها عن القوى القادرة على احداث البلبلة في الساحة الداخلية، توقفت المصادر عند المعارضة الاميركية والغربية الشديدة لعودة المهجرين السوريين الى مناطق امنة في بلدهم، بل الى التهديدات التي تلقتها جهات لبنانية فاعلة اذا ما استمرت بفتح هذا الملف، والتي كان اخرها الرفض العلني من قبل سفراء واشنطن ولندن والاتحاد الاوروبي لطلب رئيس الجمهورية، بعدم تشجيع السوريين على البقاء في لبنان، او تخويفهم من العودة الى بلدهم، والسماح لمن يرغب في العودة الطوعية الى بلده ان يعود دون عراقيل.

وكان الامين العام السابق للامم المتحدة بان كي مون قد دعا لبنان صراحة الى توطين مئات الالاف من السوريين في اراضيه، وذلك خلال زيارته للبنان في مارس ٢٠١٦، وهو ما اثار ردود فعل رافضة في الاوساط المسيحية. الا ان ولي العهد السعودي محمد بن سلمان يبدو انه وضع ثقل بلاده كاملا خلف هذا الملف، وحمّل رئيس الحكومة اللبنانية سعد الحريري قرار المملكة والمجتمع الدولي بإيقاف التحريض على النازحين السوريين وعدم السعي لطردهم من لبنان! فهم – بحسب ولي العهد محمد بن سلمان – سبب عدم اندلاع حرب أهلية بلبنان، وكل أسباب الحرب موجودة، والفيتو الدولي لمنع الحرب بلبنان ليس لسواد عيون اللبنانيين، بل خشية من لجوء السوريين الذين بلبنان للدول الغربية.


اشرف ريفي والسبهان، بديل الحريري!

كما وحمّل ولي العهد رسالة لرئيس الجمهورية اللبنانية العماد ميشيل عون ورئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري من خلال الرئيس سعد الحريري، أنه بحال طرد السوريين سيتم طرد اللبنانيين من الخليج.

ومن الواضح ان هذا الحرص على بقاء السوريين في لبنان لا يعبر عن محبة وحرص على السوريين، الذين ترفض السعودية السماح لهم بدخول اراضيها، الا انه يستبطن هدفا امنيا من خلال اغراء اعداد من الشباب السوريين الذين جرى غسل ادمغتهم بالفكر الوهابي والتحريض المذهبي، في اي مواجهة مقبلة مع المقاومة، وخصوصا في حالة هجوم اسرائيلي واسع عليها.

وهكذا تتشابك خيوط اللعبة في الساحة اللبنانية، بحيث يصعب التمييز بينها تماما، ويتداخل فيها الداخلي بالاقليمي بصورة غريبة. الا ان التدقيق في مسار الاحداث يؤكد حقيقة ثابتة هي ان هناك محاولة سعودية، لم تكلل بالنجاح بعد، لاقامة تحالف داخلي لبناني يغطي العدوان المحتمل على المقاومة، الذي تؤكد كافة التقارير الاسرائيلية انه قادم لا محالة، الا ان التوقيت لا يبدو انه مناسب الان، وهو ما تعمل المقاومة بالمقابل على ابعاده قدر الامكان، عبر تكثيف معادلة الردع التي تكشف عنها بين الفينة والاخرى.

والدور السعودي في الساحة اللبنانية شديد الوضوح الى درجة بات اكثر حلفائها يتهيبون الدخول فيه، لان مخاطره على لبنان اكثر بكثير من مخاطره على اي طرف آخر، وهو سيطال حلفاء السعودية قبل غيرهم، في ظل الشك الكبير لدى هؤلاء الحلفاء في امكانية تحقيق انتصار على المقاومة وحلفائها في اي مواجهة قادمة.

انهيار السياسة الخارجية السعودية

سعدالدين منصوري

جنوح حكّام السعودية نحو سياسة خارجية راديكالية تلغي المنطقة الرمادية المحجوزة للمناورة السياسية.. يجعل أي تبدّل في السياسة الخارجية، علامة ودلالة انكسار، وليس إعادة تموضع.

سلسلة مواقف سياسية جديدة إزاء قضايا المنطقة تشي بتحوّل لافت في السياسة الخارجية السعودية. يأتي في مقدمة المواقف تصريح وزير الخارجية السعودية عادل الجبير في ٢٣ سبتمبر الماضي: «لا سبيل لإنهاء الأزمة السورية إلا من خلال الحل السياسي"، ليحسم الجدل حول ما كان يتردد في أوساط المعارضة السورية المتحالفة مع الرياض، حول حقيقة الموقف السعودي من المسألة السورية عموماً، كما يلجم تصريح الجبير المكرور «تنحي الأسد بالسلم أو الحرب». لاريب، أن هذه المواقف بقدر ما تعكس مواكبة سعودية وملازمة للموقف الاميركي أولاً والأوروبي لاحقاً من الأزمة السورية، وبما تغلف الخسارة السعودية في الساحة السورية.. فإنها تندك في مسار الانسحاب من الميدان.

موقف آخر لافت صدر عن الجبير أيضاً في قضية الصراع العربي الاسرائيلي، حيث قال في كلمة بلاده أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٧ بأن: "النزاع العربي الإسرائيلي أكبر نزاع تشهده المنطقة في وقتنا الحاضر، إننا لا نرى مبرراً لاستمرار هذا النزاع، خصوصاً في ظل التوافق الدولي حول الحل القائم على حل الدولتين، والمستند على قرارات الشرعية الدولة ومبادرة السلام العربية». وهكذا لم تعد خافية رغبة السعودية في إغلاق ملف الصراع العربي الاسرائيلي، لأغراض داخلية (اشتراطات الدعم الأميركي لابن سلمان لبلوغ العرش)، وإقليمية محمولاً على الصراع السعودي الايراني، ودولية موصولة بحركة الاستثمارات التجارية في المملكة.

يعد الانفتاح السعودي على العراق المثال الأكثر سطوعاً، فالقناة التي شقّها فريق محمد بن سلمان على العراق عبر سياسة احتواء لبعض قادته الشيعة (مقتدى الصدر، إياد علاوي وآخرين)، تؤسس لفك عزلة السعودية في المنطقة بعد تدهور علاقتها مع دول مصنّفة على الإخوان المسلمين أو داعمة لهم مثل تركيا وقطر.

في ملف العلاقات السعودية الايرانية، وبرغم المناكفة الإعلامية، من جانب الرياض، فإن الأخيرة أمام معادلة شديدة التعقيد أملتها أوضاع المنطقة، إذ لا يمكن فتح مسار بغداد وإغلاق مسار طهران، ببساطة بفعل تداخل الخطوط السياسية الشيعية في العراق، التي يعمل السعودي على اختراقها، وتالياً صعوبة تحقيق اختراق حقيقي مع إبقاء التوتر في العلاقة بين الرياض وطهران على الساحة العراقية.

الإشارات التي صدرت من مسؤولين عراقيين شيعة يعتنقون مبدأ الانفتاح على الإقليم ولا سيما السعودية ومن بينهم: رئيس الحكومة حيدر العبادي، ووزير خارجيته ابراهيم الجعفري، وزعيم التيار الصدري، مقتدى الصدر، وزعيم تيار الحكمة عمار الحكيم، قد أطلقوا دعوات وساطة بين طهران والرياض، تأسيساً على قناعة بعدم الفصل بين المسارات.

لابد من إلفات الإنتباه الى أن الرياض لم تعتد على تظهير نقاط ضعفها، وإن نفي تصريحات المسؤولين العراقيين (رئيس الحكومة حيدر العبادي، ووزير الداخلية قاسم الأعرجي) حول طلب الوساطة بينها وبين إيران، ونفي تصريح المسؤول الإيراني (مستشار رئيس مجلس الشورى الايراني أمير عبد اللهيان) حول طلب وساطة طهران لدى أنصار الله بشأن التسوية حول الحرب، تعكس جوهر السياسة السعودية القائمة على إظهار القوة في مواطن الضعف.

وعليه، تبدو الرياض أميل الى الانفتاح السياسي مع طهران بعيداً عن الأضواء، مشروطاً، بطبيعة الحال، بالتوجّه الأميركي، الذي ينزع نحو التصعيد مع طهران، في ظل أحاديث حول إمكانية الغاء الاتفاق النووي من طرف واحد. على أية حال، نحن أمام مرحلة سيولة سياسية مرتبطة بالداخل السعودي (في ظل تجاذبات السلطة داخل الأسرة المالكة، والتحوّلات الاجتماعية بطابعها الحداثوي)، وحرب اليمن التي أبدت الرياض في الكواليس (بحسب مصادر أنصار الله) رغبة في التسوية النهائية، على الضد من الرغبة الاميركية وأداتها الاماراتية التنفيذية على الأرض.

في الأزمة الخليجية، أفق الحل بات مسدوداً، وإن الخيارات كافة استنفذت أغراضها، إذ لابد من عمل استثنائي يوضع نهاية حاسمة قبل موعد القمة الخليجية المقرّرة في الكويت في ديسمبر القادم. هناك محاولة من أمير الكويت، الذي زار الرياض، ولكن الآمال بالحل لازالت محدودة.

الاتصال الهاتفي بين محمد بن سلمان وتميم بن حمد في ٨ سبتمبر الماضي تمّ قبل إنضاج شروط نجاحه، وجاء في غير وقته المناسب، ولذلك كان محكوماً بالفشل، وإن إساءة تفسير خلفيته ومضمونه ليس سوى المبرر العلني الذي أسبغ على قرار نبذ خيار الحوار وتالياً التسوية الشاملة. أمير الكويت صباح الأحمد في لقائه بترامب بواشنطن في ٧ سبتمبر الماضي كشف أسراراً صادمة وغير مألوفة في الخلافات الخليجية، حين تحدّث عن الاجواء



الإيجابية إبان قمة الرياض في ٢١ مايو ٢٠١٧، إذ لم يكن هناك ما يشير الى وجود خلاف بين قطر من جهة والسعودية والامارات من جهة ثانية. كما كشف أمير الكويت عن نجاح مسعاه في إحباط العمل العسكري ضد قطر.

القراءة الداخلية لما سبق تنطلق من شعور النظام السعودي بضغط الفشل في السياسة الاقليمية العدوانية والاخفاقات على مستوى القيادة الداخلية، الأمر الذي يضطره نحو تبني خيارات قهرية. فالرجل في القمة، ولي العهد محمد بن سلمان، يبدو وحيد الدار، بعد أن تخلص من الأمراء المنافسين، والأعمام من كبار السن، كما دخل في خصومة مع أكبر حركة إسلامية، وأبعد السلفيين الموالين للنظام، وهمّشهم، وحرمهم من أي سلطة حقيقية، وقوّض سلطتهم، حين وعد بتسلية السعوديين من خلال حفلات الغناء والرقص. لم يعد الأمير الشاب يكترث بإجماع العائلة ولا توافق المجتمع، وأن مبادراته المتعددة لإصلاح الإقتصاد المتعثّر تنطوي على تدعيات خطيرة. باختصار: السعودية تتجه نحو تحوّل غير قابل للتكهّن والذي قد يصبح إشكالياً بدرجة خطيرة.

تجربتا: الحرب على اليمن، والأزمة مع قطر شكلت خسارة للسعودية في مصداقيتها وهيبتها وتحالفاتها، والأهم أنها تخسر معركتها مع إيران، وتخسر بكونها الدولة الاسلامية المحورية، تضاف اليها المحاولات العقيمة للنهوض بأسعار النفط التي لاتزال دون المستوى المطلوب للخروج من شرنقة العجز المالي المتراكم.

في التداعيات: اضطرت الرياض للانفتاح على بغداد، وعلى الأطراف القريبة من طهران، واختارت إخلاء الساحة السورية لصالح خصومها: روسيا وايران الى جانب تركيا لتحديد المستقبل السياسي في سوريا. وينسحب ذلك على الوضع في أفغانستان وباكستان التي خسرت فيها أكبر حليفها نواز شريف بعد تنحيته على خلفية فضيحة الفساد المالي.

كل ما سبق لا يمكن فصله عن «رؤية» ابن سلمان التي تزداد غموضاً، وتقترب من الفشل.

تركي الحمد.. العلماني السلطوي!

هيثم الخياط

هذا ليس تركي الحمد.. الدكتور في العلوم السياسية، والروائي، والداعية للإصلاح السياسي والثقافي، الذي نعرفه.

هذا ليس تركي الحمد الذي دخل السجن في عقود مضت لمعارضته من موقع المتحزب اليساري. ثم دخلها لأسابيع بسبب تغريدات، رغم ان الملك عبدالله منحه قلمه، ثم عادت أجهزة الأمن فكسرتها!

هذا ليس تركي الحمد، الذي يزعم الحداثة والعلمانية او الليبرالية ويبشر بهما.. يقول مغردون كثر، وهم يقرأون باندهاش تغريداته خلال الشهر الماضي، المليئة بالتناقضات، والمبررة للعدوان على المواطن كما على دول الجوار، فضلاً عن سخريته وتضامنه التام مع آل سعود لسحق مطالب الشعب، وتسخيف المعارضين باطلاق شتى الأوصاف والتهم، والعدوان على الخصوم محرّضاً السلطة لاعتقالهم وكتم أنفاسهم!



الذي كان ينظر المقربون اليه كإصلاحي منبوذ من السلطة، اصبح اليوم (فاشيّ سلطوي) كما وصفه مغردون علّقوا على مواقفه الأخيرة.

مالذي تغيّر في تركي الحمد، حتى تحوّل من النقيض الى النقيض؟

اليس تركي الحمد هو الذي كتب للامير عبدالعزيز بن فهد: (انتم لا تعرفون اي شيء عن أي شيء رغم ذلك تديرون دولة. بسياستكم نحن نتجه الى كارثة؟). اليس هو من قال لـ (عزوز): (ولدتَ وفي فمك ملعقة من ذهب، فهل أحسستَ يوماً بمن لا ملعقة في فمه؟). ألم يقل



له: (تسوّرون الاراضي وتأكلون الحقوق باسم الاسلام، وتقولون: شرع الله. كلا، لن نصدق ولن نؤمن)؟ ألم يقل أن آل سعود اختصروا اسم البلد باسمهم، اي آل سعود؟

ألم يقل الحمد ان فساد البلد يكمن في الرأس كما السمكة؟ وأن ورثة ابن سعود أفسدوا كيان الدولة؟ وان سياستهم تجاه الشعب لا تعبّر عن حب واحترام؟

تركي الحمد في نسخته الجديدة مختلف تماماً في معظم مواقفه وآرائه.

أمران يفسران هذا التحوّل:

الأول - شعوره بالقلق من سقوط حكم آل سعود ونهاية دولتهم، وهو يعتقد أن الخطر الوجودي يعود لأمرين: احدهما، الأخطار المحدقة خارجيا بما فيها من فشل وهزائم؛ والثانية، المؤسسة الدينية الوهابية، أو حتى الدين ذاته، والذي اصبح عبئاً على الدولة ومعوقاً لها ويجب الانفكاك منه بسرعة.

ابتداء يقر تركي الحمد بأن كيان المملكة يتعرض للخطر، وهو يدعو للاتحاد مع ال سعود، وعدم نقدهم، بحجة الحفاظ على الوطن، او حتى بدون حجة. يقول: (فوالله اني لآكل لحم أخي كارها، ولكني لا أرضى له أن يؤكل)، مع العلم ان سياسات آل سعود هي التي جلبت المخاطر.

هذا هو تفكير أهل الجاهلية الأولى، يرد عليه احدهم؛ وآخر يسأله: (هل ناقشت الفقر يوماً، البطالة.. السكن.. هموم المواطن البسيط؟).

لم يقف الحمد عند تحريم النقد على نفسه بل وعلى غيره، بل وزاد في النظام مديحاً والحجة كما يقول: (السعودية وطني اولا، ثم هي في معركة وجود. قد أنقد سياسات معينة للحكومة، ولكني مع الدولة قلباً وقالباً). وعاد الى التبرير مرة أخرى، مؤكدا ان وجود الدولة في خطر. ومن قال لك يا تركي ان الآخرين المعارضين ضد أصل الدولة، هم ضد الحكومة التي تؤيد أنت معظم سياساتها بشكل أعمى. لستَ اكثر وطنية منهم.

من هذه الخلفية هاجم تركي الحمد المعارضين في الخارج، وقال ان المعارض الحقيقي يجب ان يبقى في الداخل، وانتقد الدعوة لاسقاط النظام؛ وشتم المعارضين في الخارج واصفاً اياهم بالمنشقين، وأنهم لا يتمتعون بكاريزما، وتنقصهم الثقافة، بل واتهمهم بأنهم أدوات لأجندات

خارجية.

وكان تركي الحمد قد أيّد اسقاط الحكم في قطر، وبشّر بأن البديل جاهز، وسيشكل حكومة منفى كممثل للشعب القطري. حيث ستطلب حكومة المنفى الاستعانة بالسعودية للتدخل عسكريا، وهذا من حقها. فانظر الى هذا التناقض. سأل أحدهم: (معقول انت تركي الحمد؟!).

نعم هو بشحمه ولحمه. وحين جاءت دعوة الاحتجاج يوم ١٥ سبتمبر الماضي، قال انه اصبح احتفالاً بشرعية النظام السعودي، وقال ان الرياض وجدة والدمام هادئة، حتى زحام الرياض اختفى. رد عليه الاعلامي نبيل المعجل ساخراً: (حتى شوارع فيينا كانت هادئة).

واستسخف الحمد نشاط المعارضة حين قال بان من خطط لحراك ١٥ سبتمبر غريب عن المجتمع السعودي، لان الحكومة تستخدم التاريخ الهجري، ويستنتج (هناك أياد خفية تحرك الخيوط من وراء الستار، فانتبهوا). المغرد المشهور محمد ترنر رد: (تحليلك غريب)؛ وميسون الخميس تقول لتركي الحمد بأن راتبها يصل الى حسابها بالتاريخ الميلادي، واليوم الوطني في ٢٣ سبتمبر من كل عام.

وتساءل الحمد: لماذا يصر البعض على ان الشعب مناهض لنظام الحكم، ويدفعه للتحرك واسقاطه، وزاد (نواقصنا نعالجها من داخل النظام)، وان الشعب راض عن آل سعود، ولا يحتاج لراع اجنبي يعرفهم بحقوقهم (ارفعوا أيديكم عن وطني). ينسى الحمد بأن السعوديين (يتدخلون في كل الأوطان، ما سلم بلد من تدخلاتهم السياسية وفتاويهم الدينية). وقطري يسأل: من أعطى حكومتك الحق بالتدخل في وطننا واختيار حاكم صوري؟ وماذا عن الاجنبي السعودي والاماراتي في اليمن؟، يسأل يمني. وعراقي يسأل: لماذا تدخلتم في سوريا والعراق؟ وغضب مواطن من جملة (راضون بنظام حكمهم) من أين أتيت بها؟ عندك ثلاثين الف معتقل، غير الملايين الصامتين الحانقين بسبب الظلم: (إمْحَقْ ليبرالي)!

تركي الحمد مصرّ على دعم الأنظمة الملكية وترجيحها، محذراً من (دعوات الحراك الشعبوي العبثية) حسب زعمه؛ اي لا تقاوموا ملكية آل سعود. لماذا؟ يقول لأن العرب ـ وليس السعوديين فحسب ـ لا يصلح لهم إلا نظام ملكي؛ ولأن دعوات الحراك السياسي وتأجيج الشارع بشعارات براقة مقدمة للفوضى غير الخلاّقة، بزعمه.

بالله هل هذا الرجل له علاقة بالإصلاح وبالليبرالية او العلمانية او الحريات أياً كان صنفها؟

زياد هوّاش قال انه سيؤيد مقولة ان العرب يليق بهم الملوك والممالك، لولا انها من صنع الانجليز، ولولا ان القواعد الأمريكية تحميها. ومنصور باز استغرب وقال: لا اعرف محللا سياسياً يعتدّ به يؤمن بما يقوله الحمد (انظمة الحكم يحددها استفتاء عام وشامل. هذا من بديهيات السياسة). وسخر حزام القحطاني من المثقف الليبرالي الذي اجرى دراسة فاكتشف ان كتلة بشرية عربية عددها ٣٥٠ مليون لا يناسبها الا الانظمة الملكية.

وهكذا فإن دافع تركي الحمد للحفاظ على نظام الحكم السعودي، ربما بسبب خلفيته النجدية، وشعوره بقرب زواله، كان محركاً لمواقفه، حيث أسس رؤية جديدة لذاته المكسورة، فأصبح ابتداءً ضد أي نقد للحكومة؛ وضدّ المطالبة بالإصلاح في هذا الوقت؛ وضد المعارضة في الخارج كما الداخل، ومع الاعتقالات للخصوم السلفيين وغيرهم ممن يشاطرونه الكثير من الآراء، ومع تدمير العوامية والاعدامات، حيث نجد اشارات لذلك، وفي اكثر الأحيان هو يلتزم الصمت عن كل المساوئ والجرائم والأخطاء الحكومية. وفوق هذا، هو مع حرب اليمن، ومع التصعيد ضد قطر، وقبلها هو مع مواجهة ايران، ومع التحالف مع اسرائيل وضد حماس. بالمختصر هو مع كل مواقف الحكومة حالياً.

وبهذا يصبح تركي الحمد شخصاً آخر، لا علاقة له بأيّ مزاعم إصلاح يرفعها، ولا مبادئ يزعم اعتناقها ويبشر بها ليبرالية او علمانية، بل تحوّل ـ بقصد ـ الى آلة إعلامية تخدم ال سعود.

الثاني ـ لكن هناك دافع ثان له أثره في مواقف تركي الحمد الأخيرة التي استكملت التفافته. الا وهو عداوته للدين وللتيار السلفي، وشعوره بأن الحكم الجديد، تحديداً حكم محمد بن سلمان، سيقوم بالــلازم من جهة (علمنة الدولة) وضرب التيار السلفي الوهابي وتحجيمه، وهو يعتقد ان ابن سلمان ولي العهد، قادر على التصدي للمخاطر الخارجية جميعاً.

هو اذن بين حدّي الخوف الوجودي على الدولة، من جهة؛ والأمل والرجاء بحدوث تغيير هيكلي في أيديولوجية الدولة السعودية.

ابتداءً هو يبشرنا بأن (هناك مملكة تتجدد.. تخرج من ثوب وهابية ضاق عليها، وآن لها أن تُلقيه). وهذا ما أزعج مشايخ السلطة المقربين كالشيخ العتيق الذي قال لتركي الحمد: ستذهب الى مصيرك، وستبقى السعودية إسلامية سلفية. واضاف العتيق: كلما تولى ملك من ملوك السعودية قال أشباهك مثل قولك. وسبق ان استاء هؤلاء من الحمد حين قال: (داعش جرثومة قابعة في مدارسنا، جامعاتنا، مؤسساتنا، أسرنا، في كل الجو حولنا، تنتظر الفرصة لتنتعش من جديد، طالما بقي تراث ابن تيمية وتلاميذه بيننا).

ويرى الحمد ان البلاد قد اتجهت نحو الحداثة (وإن رغمت أنوف) وان الاتجاه نحوها مسألة بقاء أو فناء (يقصد ان الدولة السعودية ستفنى بدون ذلك). رد قارئ: (حداثتك يا دكتور كالمثل الشعبي القائل: اشربي وإلا العصا.. فيها إرغام أنوف ورفضها رفض للحياة. هذا توحش فكري متطرف، وليست حداثة).

لكن الحمد يعتقد ـ مصيباً بنحو ما ـ بأن الايديولوجيا الوهابية ساهمت في تأسيس الدولة، ولكنها أصبحت سدّا أمامها؛ والخيار امام آل سعود إما التشبّث بالوهابية فتنهار الدولة كما حدث مع الاتحاد السوفياتي، أو (يطلّقونها) للحفاظ على الدولة، مضيفاً (وهو ما يحدث في سعودية اليوم). ويتفاءل الحمد كما تفاءل قبل ١٥ عاماً: (بعد طول انتظار، اخذ التفاؤل ينشر أرديته الوردية في المكان والزمان. تفاؤل بأنه في النهاية: لا يصح الا الصحيح)؛ مؤكداً: (سيأتي يوم يدرك فيه الجميع أن فصل المؤسسة الدينية عن الدولة هو طوق النجاة للدين والدولة. فهل ندركه قبل فوات الأوان؟).

وفي ظل الاعتقالات في تيار الصحوة السلفية، ينتشي تركي الحمد فيقول: (نحن اليوم نعيش أيام الصحوة الحقيقية، فالصحوة استنارة وعقل ناقد). يسأله احدهم: (عقل ناقد؟.. ضعها تحتها ألف خط): (هل يكون هذا العقل الناقد ناقداً فقط للموروث الديني، ومغيّباً عن السياسة والإصلاح الاجتماعي؟ أهذه هي علمانيتكم؟).

لكن الحمد يمضي جذلاً: (ما يجري في السعودية اليوم هو اجتثاث للدولة العميقة التي تضع العصي في الدواليب، وتدمير للتنظيم الموازي الذي يعرقل كل مشروع نهضوي). هو هنا يشرعن الاعتقالات بحق الخصوم، بكل اطيافهم، لكن استخدام جمل (الدولة العميقة/ التنظيم الموازي) المعوق للنهضة، يثير الرثاء حقاً. الدولة العميقة ان وجدت، فهي في العائلة المالكة وجهاز مباحثها واستخباراتها ومشايخها ودبابيسها في الاعلام، وفي رجال المال الذين ينتفعون من الأمراء.

الخوف على النظام السعودي، الذي لا يستطيع أن يعيش الحمد بدونه، والرغبة في تحول البلاد باتجاه مختلف، جعله يؤيد الاعتقالات، والقمع، حتى لجمال خاشقجي ابن النظام الآخر: (فقد أعطيتم المذكور أكبر من

حجمه).. تجاهلوه، يقول الحمد. ويحمد الله شامتاً: (حمداً لله، إنني عشتُ حتى أرى انقشاع أفيون الصحوة، وسقوط رداء القداسة عن دعاة المال والتحريض والعنف).

ليت الأمر وقف عند هذا الحد، فهو يسخر بأي شيء له علاقة بالعروبة والعرب كأمة، أو بأمة اسلامية، وينصح في انتهازية سياسية (الكسب من لعبة الأمم). يتمدد موقف الحمد الى قضية فلسطين، فحين هاجمت اسرائيل قطاع غزة بالطائرات، رفض التعاطف، لأن القضية صارت كمومس يطرق بابها التجار والمحتالون، كما يقول. هو لا يفرق بين القضية ورجالها المزعومين. رد عليه عربي: (لكنكم ـ كحكومة ـ تتاجرون بكل المومسات، وترتعد فرائصكم حتى من المتاجرة بفلسطين خشية غضب أولياء نعمتكم. من يعيب على الآخرين متاجرتهم، عليه ان يتقدم بالفعل). لكن الحمد واصل: (لم أعد أكترث ـ للقصف الاسرائيلي. لم أعد أعرف الصادق من الكاذب. لم اعد اكترث). وزاد الحمد الجرعة، متهماً حماس باستفزاز اسرائيل. بل ان اسرائيل بنظره خير من ايران، فاسرائيل هي العدو العاقل، وهي خير من صديق جاهل. هذا الكلام لا يمثل اساءة لايران، بقدر ما هو تلميع لصورة اسرائيل، وإساءة لآل سعود، ولتركي الحمد نفسه.

وكما قلنا فإن تركي الحمد مع النظام (في الخير والشر). هو من مؤيدي الحرب على اليمن، ويراها ضرورة لإيقاف زحف ايران. وحين طالت واعترف باستنزاف البلاد مالياً وبشرياً، بررها بالقول (لو انها لم تحدث ربما كان عليك تعلم الفارسية اليوم). هل هذا الحمد درس السياسة ويفهمها؟! هذا تبرير بشع لحرب عدوانية، عديم الانسانية من قام بها، ولا افق انتصار فيها، يرد د. حمزة الحسن.

أما ايران فهي عقدة النخب النجدية في أغلبيتها الساحقة، ملحدة كانت ام وهابية ام اخوانية ام لا دينية.

والحمد يستنسخ موقف محمد بن سلمان بأنه لا يستطيع التفاهم مع ايران، نظراً لايمانها بالمهدي المنتظر! محمد بن سلمان جاهل، لكن ماذا عن استاذ السياسة هذا؟! رد الدكتور ابراهيم المطرودي: (اليس موقفنا من ايران هو نفس موقف الغرب من المسلمين؟ أليس لدينا معتقدات دينية مهيمنة، تمنع من أي حوار حقيقي؟). والحمد ايضاً يربط كل شيء بايران ومخططاتها، كما حكومته حتى فيما يتعلق باحداث العوامية وتدميرها وتشريد اهلها.

وكما الموقف من اليمن وايران، كذلك من العراق، فالحمد مع انفصال كردستان وبمبررات سخيفة. يقول: (للأكراد كقومية كل الحق في تقرير مصيرهم، واقامة دولتهم من حيث المبدأ، بمثل ما ان للفلسطينيين ذات الحق، ولكنها مصالح الآخرين التي تمنع ذلك). والحمد هنا يتناغم مع الموقف الرسمي السعودي الذي يميل الى تأييد تأسيس دولة كردية، نكاية بالعراق، وتركيا وايران معاً، وهو امر كشفت عنه زيارة ثامر السبهان مؤخرا لأربيل، ثم زعمت السلطات أنها تريد القيام بوساطة، وبعد الانكشاف قالوا انهم ضد تقسيم العراق.

لكن موقف الحمد اثار المواطنين اكثر مما اثار العراقيين وغيرهم.

منصور باز قال بأن هناك مائتي الف قومية في العالم، فهل يعني ذلك قيام مائتي الف دولة تنضم الى الامم المتحدة؟ آخر خاطب الحمد بقوله: إنك (لا تتمتع بثقافة دينية ولا سياسية ولا اجتماعية ولا حتى تاريخية). وثالث سأل الحمد ما اذا كان قد فكر في عواقب التقسيم الذي لن يوفر احداً بحجة القومية او بداعي الطائفة والعرق، ونصح: (انظر الى تركيبة بلدك وفكر). واعترض رابع على مماثلة القضية الفلسطينية بالكردية، وسأل ساخرا: (أليس من مقومات الدول الحديثة اختلاف الأعراق والثقافات؟ أم ان هذا يعتمد على مكان الدولة؟). وقفز خامس معلقاً: (أعطوا أهل القطيف دولتهم)؛ وحق تقرير المصير قد ينشيء للأحساء والقطيف دولة، يقول معلق سادس، ويضيف: (عداوكم للعراق وصل حدّ الفجور). وعلى ذات القاعدة يحق لأهل الحجاز تقرير مصيرهم من عائلة آل سعود، وان تكون لهم دولة، خاطبه مواطن غاضب. والاعلامي ابراهيم المالك يقر حقيقة ان الاكراد صارت لهم دولة داخل الدولة، ولكن (لا أعتب على العراق مقاومة تقسيمها.. حقهم! هذا جزء مما خُطط له).

يبقى موضوع قطر وكيف تماهى الحمد في مواقفه مع النظام، وعطّل مفاعيل مخّه في التحليل. وعموماً فإن كل النخب النجدية حين تصل الى موضوع ايران والآن قطر، فإنها تقوم بالتخبيص وتتحكم فيها انفعالاتها الشخصية وغرائزيتها بحيث لا ترى الحقائق على الأرض.

الحمد يقول ان نظام قطر (على وشك السقوط) ويضيف كلمة (قريباً) أيضاً. لماذا؟ يقول لأن البديل جاهز (يقصد عبدالله بن علي آل ثاني) وسيشكل حكومة في المنفى على غرار حكومة عبدربه هادي، مقرها فندق بالرياض؛ والسيناريو التالي ـ حسب الحمد ـ هو: الطلب من آل سعود للتدخل عسكريا في قطر، وسيتدخلون بنفس الحجة اليمنية (اعادة الشرعية)!

لكن فات الحمد ان هذا المشروع قد قُبر في مهده، لكنه في عالم آخر.

والحمد يقول ان تميم عبث بالورقة القبلية (النار)، ومع قبيلة آل مُرَّةْ التي تشكل غالبية القطريين.

والحقيقة ان اكثر آل مرة من مزدوجي الجنسية (سعوديين وقطريين)، وان ديار آل مرة هي واحة يبرين في السعودية، وأن الرياض هي التي استخدمت القبلية وشجعتها ونفخت فيها، كما انها استخدمت فرع الغفران من آل مرة في انقلاب سابق على والد تميم، وتسعى لاستخدامها ثانية في الانقلاب الذي يجري الإعداد له حالياً.

متابع حذر تركي الحمد بأن من يحاول قلب نظام الحكم في قطر يعطي الضوء الخضر لم يختلف معه مستقبلا لأن يفعل ذات الشيء؛ وتساءل: هل هذا فكر؟ نحارب قطر اليوم وغداً نختلف مع الكويت ونحاربها بدرع الجزيرة، وبعده عمان، والعراق وهكذا؟

ومن السخرية بمكان ان يتحدث تركي الحمد عن تبديد حكومة قطر اموال شعبها، وكأن آل سعود المثال الذي يحتذى في هذا الأمر. ويخاطب الحمد امير قطر باستعلاء: انت تقامر بقطر. دع عنك وهم السيادة. لكن اليست السيادة وعدم التدخل مما يؤمن به تركي الحمد؟. هنا استغرب قطري من حقيقة ان تركي الحمد لا يجرؤ على كتابة تغريدة مختصرة عن معاناة شعب مكمم بلا وظيفة ولا سكن ولا حتى ما يسد الرمق.

لا يهم فتركي الحمد مهتم بالمعركة الاعلامية والانتصار فيها، يقول: ستخضع قطر لمطالب دول المقاطعة، وقطر بها جنون عظمة. لماذا لا يكون ال سعود مصابين بالجنون؟

ومن السخرية بمكان ان يقول الحمد بأن قطر كان يمكن ان تختار درب سنغافورة وماليزيا ودبي وتصبح نموذجاً، لكنها اختارت (درب الزّلق). رد عليه سعودي: الدوحة الآن تتحدى دبي وسنغافورة (خلال عشرين عاماً انقلبت قطر ٣٦٠ درجة، الرياض تتقدم لكن كسلحفاة). قطري ذكي سأل الحمد: (لمَ لمْ تختاروا انتم درب سنغافورة ودبي وماليزيا؟ يا رجل: شخص واحد يورّث تريليون)!، والمقصود هو الامير مشعل ملك الشبوك.

ها قد استعرضنا المفكر تركي الحمد بصورته الجديدة، وما أكثر النخب النجدية التي انقلبت وتغيرت او ربما عادت الى عرينها المناطقي والمذهبي والقمعي الأول. ومثل تركي الحمد، عبدالله الغذامي، واضرابه.

الوهابية تتناسل.. سلالات التكفير

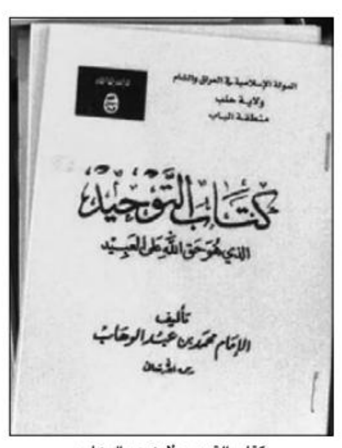
هل أنجب «داعش» وحشه المُطوّر؟

القسم الثاني

سعد الشريف

في الوقت الذي يتوقع فيه كثير من الباحثين نهاية لوجود داعش كدولة وربما كتنظيم، سواء في العراق أو سوريا.. وفيما يتراجع فيه التنظيم في بلدان عديدة أفريقية وآسيوية.. يحذر باحثون آخرون، وبينهم سعوديون، من حقيقة أن فكر داعش باق، وأنه قادر على انتاج نسخة جديدة مطوّرة، وأن الفكر الداعشي ـ الوهابي في أصله ـ هو منبع الشرور، وأنه قد خرّج على الدوام أجيالاً من المقاتلين التكفيريين، بنسخ ومسميات مختلفة.

لا ريب أن منسوب العنف لدى "داعش" لا يضاهيه أي تنظيم آخر، فهو يستعيد ما كان عليه "إخوان من طاع الله" في عهد محمد بن عبد الوهاب، ولاحقاً في عهد مؤسس الدولة السعودية عبد العزيز آل سعود. لقد أخرج "داعش" في عنفيته كل شرور الكون، وفعل كل ما يخطر في بال أشد المجرمين ولعاً بالدم، وجعل من الخيال البشري في عالم العنف حقيقة. وعليه، فإن "داعش" يمثّل أقصى ما يمكن أن يصل اليه جنون العنف. الاختلاف بين "داعش" وبين أي جيل جديد متطوّر يكمن في التصوّرات التيولوجية وما يترتب عليها من أحكام، لا سيما تلك التي تنطوي على تصنيف عقدي (الكفر بدرجاته، الايمان بأطواره، والشرك بمستوياته..).



كتاب التوحيد لابن عبدالوهاب: منهج التعليم الداعشي

كان الاعتقاد الشائع بأن داعش تمثل ذروة سنام الوهابية التاريخية، وخاتمة السلالات المتناسلة من جوفها، ولكن بدا واقع الحال غير ذلك، بل يؤكّد أن صراع السلالات هو القابلة التي تجعل من الوهابية مؤهّلة دائماً لإنجاب الأضداد، أي أنسال تزعم كل واحدة منها أنها الأقرب الى روح الوهابية الأولى.

وليس من قبيل المصادفة البته، أن صراع الأنسال يدور حول (من يكفّر أكثر)، ليجعل من ذلك مصدر مشروعية لوجوده، وتوحشّه، وانتشاره. لكن في الوقت الذي يصل فيه نسل وهابي الى ذروة تمدّده المكاني والبشري، تبدأ لحظة انشطاره من الداخل.

ما يجري وما هو متوقع إذن لمرحلة ما بعد داعش، ليس نتاجاً خارج الفضاء العقدي الذي أطلق فيه محمد بن عبد الوهاب تصوّراته الأولى عن الدين، والكون، والإنسان.. وهي تصوّرات قدّر لها أن تكون المرجعية الفكرية ومصدر الإلهام لأجيال متعاقبة. فالوهابية أنتجت أجيالها او نسخها بتاريخ صلاحية محدّدة، حيث يولد جيل وهابي متطرّف من رحم جيل آخر أقل تطرّفاً. فالقاعدة ترث تيار (الصحوة)، وداعش ترث القاعدة، وتيار الحازمي يرث داعش، ومن الحازمية خرجت البنعلية والحطابية، وبين هذه الأجيال تفريعات، وانزلاقات، وانسحابات للأمام أو للخلف. إن المرجعية لكل هذه الأجيال هي: الوهابية، التي يزعم كل جيل بأنه الأقرب الى روحها، والأشد إخلاصاً لتعاليمها، والأوفى لأهدافها.

في سياق التدابير الوقائية التي فرضها تنظيم «داعش» لتحصين عناصره من تأثيرات «تيار الحازمي»، ودرءاً لأي تداعيات فكرية وتنظيمية في صفوف شرعييه ومقاتليه بعد تصفية الرؤوس الحامية في التيار، صدر تعليمات مشدّدة بوقف تام لأي مناقشات في المسائل الخلافية، وعلى رأسها «تكفير الجاهل». ولكن لم تضع التعليمات نهاية للجدل المحتدم داخل «الدولة»، فقد اتسعت شقة الخلاف، ونقضت البيعة، ووقع التمرّد داخل دولة الخلافة عمودياً وأفقياً، وفرّ العشرات من كنف الخلافة، وقتل من قتل، وهرب من هرب.. وعاد البغدادي بالصوت لإثبات الوجود ولملمة دولته المنهارة.

عملت اللجان الشرعية والتربوية المعنية بالتوجيه المعنوي والإيديولوجي في «داعش» على تكثيف الدورات التعبوية وتعميم المقررات العقدية السلفية. وجرى اعتماد المقررات المخصصة للتدريس في المعسكرات، ومن أبرزها: مقرر التوحيد.

التكفير في مقررات في التوحيد

المقرّر مخصّص، في الأصل، للتدرس في المعسكرات، ومستمد من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد جاء في مقدّمة المقرّر «وهذا مختصر في أصل الدين أعددناه للمعسكرات الشرعية». ويقتفي المقرّر المنهجية التقليدية في مقاربة تيولوجية تكاد تكون استنساخاً لنموذج موحد وضعه محمد بن عبد الوهاب، وسار عليه أتباعه من بعده. هو في التقويم الاجمالي نصّ تكفيري بامتياز، ويظهر ذلك جلياً في تعريف المفاهيم العقدية الكبرى وفق المنهجية الوهابية مثل: الإيمان، مستنداً بالتصوّرات التي صاغها إبن تيمية في (كتاب الايمان) بالربط بين الايمان والعمل، إذ لا إيمان من دون عمل وبالعكس «ومن قال بلسانه، ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله، كان في الآخرة من الخاسرين» حسب إبن تيمية.

إن المدماك الأول والأساس للنظام العقدي للجماعة: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله. وصفة الكفر بالطاغوت: الاعتقاد ببطلان عبادة غير الله، وتركها، وبغضها، وتكفير أهلها، ومعاداتهم. وأمام فرادة التفسير لمفهوم الكفر بالطاغوت، يشرع الباب واسعاً لتكفير الخلائق أجمعين، على قاعدة: عبادة غير الله، وتكفير أهلها، ثم تكفير من لم يكفّرهم. ويحيل هنا الى رأي ابن القيم: «ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد، وشدّة بغضها، وبغض أهلها، ومعاداتهم، ومحاربتهم، وبذلك أرسل الله جميع رسله، وأنزل جميع كتبه، وخلق النار لأهل هذه المحبة الشركية، وخلق الجنة لمن حارب أهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته»(١).

وعطفاً على التعريف الذي يقدّمه ابن القيم للطاغوت وهو «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».. فإن مصاديق الطاغوت مفتوحة على عناوين جمّة، يذكر إبن القيم صوراً منها «فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله.. أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الطاغوت ومتابعته»(٢).

لناحية الشيخ محمد بن عبد العزهاب، فقد أجمل الطواغيت في خمسة: الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، الثاني: الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله، الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، الرابع: الذي يدّعي علم الغيب من دون الله، الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة. وفي ضوء هذه التنويعة من الطواغيت، يتم تقسيم العالم، فيكون لكل طاغوت أتباع، ثم يغربل الخلائق حتى لا يبقى منهم سوى ثلة تحقق في نفسها قولاً وعملاً «معنى الإيمان بالله» وذلك بأن «تعتقد أن الله هو الإله المعبود بحق وحده دون من سواه. وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله»، وأفراد هذه الثلة ليسوا سوى السائرين على طريقة إبن عبد الوهاب وأهل دعوته.

وفق هذا التصنيف، ينقسم العالم الى كفّار وهم الأغلبية الساحقة من البشر، ومؤمنين وهم فقط المتمسّكين بحذافير التفسير الحرفي لمعنى التوحيد كما يتخيله الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأسهب في شرحه في (الأصول الثلاثة)، أي أصول الدين وهي: معرفة العبد ربه، وفق التصوّر الوهابي، كما يختزله التوحيد الثلاثي الأضلاع: توحيد الربوبية، والأسماء، والصفات، إذ لايصح إيمان عبد دون الاعتقاد بهذه القسمة. ثانياً: معرفة العبد دينه، أي الإسلام، بما شرّع في الكتاب والسنة، في الإعتقادات، أو الأقوال، أو الأعمال، الظاهرة أو الباطنة. ثالثاً: معرفة العبد نبيه، باعتباره الطريق الى عبادة الله في ضوء ما جاء به من الله.

وكل ما سبق هو مجرد البعد النظري لعقيدة التوحيد، ولا يكتسب صفته العملية حتى يندغم في معادلة الولاء والبراء. والأهم في الشطر الثاني: البراءة من الشرك وأهله، أي: «إظهار عداوتهم وبغضهم وتكفيرهم، وعدم مساكنتهم ومؤاكلتهم، وعدم التشبه بهم في الأقوال والأعمال». وهذا المقطع المدجج بكل العناصر التحريضية والتفجيرية لا يكتفي بمجرد القطيعة مع الآخر - المختلف/ غير المؤمن وفق المقاييس الوهابية، بل يمهّد لإعلان حرب عليه، كون قرار القطيعة لا يقتصر على البعدين النفسي أو حتى المادي، بل يشجّع على «العداوة» و«البغض» وهو في حد ذاته العنصر التمهيدي لإعلان القتال.


زعيم التيار الحازمي، حي يرزق في السعودية!

ما إن يقبل «داعش» صيغة التوحيد بأنواعه الثلاثة، فسوف يخلص، حكماً، الى تكفير البشرية قاطبة، لأن الصيغة هذه وحدها الكفيلة بتحقيق شرط الإيمان، وهي الصيغة غير الواردة في النظم العقدية لدى بقية المذاهب الاسلامية فضلاً عن الأديان السماوية الأخرى. ولذلك، فإن النتيجة الحتمية بعد شرح الأنواع الثلاثة للتوحيد هي وقوع الشرك في أغلب البشر، ويصبح النقاش حينئذ في أنواع الشرك التي وقعت فيها البشرية: أكبر وأصغر، والأكبر هو «الذنب الذي لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحاً»، والشرك الأكبر على ثلاثة أقسام: شرك في الربوبية، كمن «يعتقد أن ثمة غير الله يتصرّف في الكون»، وشرك في الألوهية، أي «صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله»، وشرك في الأسماء والصفات «كتسمية غير الله بأسمائه التي لا تليق إلا له، أو وصف غير الله بما لا يوصف به إلا الله".

وفي حقيقة الأمر، أن الأنواع الثلاثة من الشرك الأكبر تكاد تكون مفصّلة بالدقة على مقاس أغلبية المسلمين، وهذا ما تشترك فيه أطياف السلفية كافة التقليدية والجهادية بتنويعاتها. فثمة إجماع داخل المجال السلفي على هذه الصيغة العقدية بتفاصيلها كافة.

لناحية النوع الثاني، أي الشرك الأصغر، فإن الخلاف فيه طفيف بين أطياف السلفية الوهابية التقليدية والجهادية على السواء، وأن صاحبه تحت مشيئة الله «إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه..»، ومنه ظاهر مثل الحلف بغير الله، وخفي مثل الرياء.

وإذا كانت أنواع التوحيد تفرز العالم على أساس الاعتقاد النظري، فإن (نواقض الاسلام) ترسم عملياً الخط الفاصل بين المؤمن والكافر، بما تمثله كمقاييس، وضوابط صارمة كي ينال العبد صفة الاسلام. وما يجعل الأمر على درجة من الخطورة، أن هذا الفصل من مقرّرات التوحيد غالباً ما يبحث فقهياً في «أبواب الردّة»، وكأنه مصمّم في الأصل لمحاكمة «تفتيش عقائد» البشر والخلوص الى تكفيرهم بالجملة.

ولتسهيل الجانب الاجرائي، حدّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عشرة نواقض لتوزيع

البشر على قائمتي: المؤمنين والكفّار. وتبدأ النواقض من الشرك في العبادة، ومستوياتها: الشرك في الدعاء، والنية والقصد، والطاعة، والمحبة. والناقض الثاني: الوسائط بين العبد والخالق و»هذا الناقض من أكثر النواقض وقوعاً وأعظمها خطراً على المرء، لأن كثيراً ممن يتسمّى باسم الإسلام وهو لا يعرف الإسلام، ولا حقيقته، جعل بينه وبين الله جلّ وعلا وسائط يدعوهم لكشف الملمّات، وإغاثة اللهفات، وتفريج الكربات، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.."».

وفي الشروحات التيبيولوجية التي يقدّمها شيوخ الوهابية ودعاتها لنواقض الاسلام، بحسب إطروحة إبن عبد الوهاب، فإن أغلب المسلمين واقع في هذا الناقض، وعليه فإنهم «كفّار بإجماع المسلمين»، بحسب النص العقدي المغلق، واجماع المسلمين هنا ليس سوى إجماع أهل الدعوة السلفية الحنبلية وامتدادها الوهابي، والا فإن القول بأجماع المسلمين عامة يناقض الحكم بتكفير أغلبهم لوقوعهم في الناقض الثالث.

ولتأمين الحكم العقدي التكفيري جاء الناقض الثالث ليكون بمثابة «برنامج حماية» للحكم، إذ نصّ على: «من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم أو صحح مذهبهم»، وبحسب النص الوهابي التقليدي، فإن من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم يكون كافراً، ولكن هذا النص شكّل أساس الخلاف بين «داعش» و»تيار الحازمي»، إذ بات على شرعيي «الدولة» إعادة تفسير هذا الناقض، بعد أن بات عنصر تفجير وسط شرعييه ومقاتليه.

استدراك مقصود تعمّد مصنّف «المقرر» لفت الانتباه اليه، يعالج فيه إشكالاً داخلياً محضاً، وليس تنظيرياً عقدياً داخل المذهب السلفي الوهابي. فقد جاء ما نصّه:

"مسألة من لم يكفّر الكافر أو شكّ في كفره، ينبغي ضبطها قبل إنزال الحكم على من اتصف بها، وذلك بمعرفة أنواع الكفر، ومن هم الكفار الذين يكفر من لم يكفرهم أو شكّ في كفرهم".

وهذا النص لا يمكن التعامل معه مفصولاً عن الصراع الداخلي الذي عاشه التنظيم، والسبب في ذلك أن هذا الإستدراك لا يرد عادة على هذا النحو الا في سياق الردود على تهمة التكفير. في الغايات، يسعى النص الى فصل شقي الكافر وتكفير من لم يكفّره، على قاعدة أن عدم تكفير الكافر يستلزم إرتداد سهم التكفير الى الذات المكفّرة. ويتحصّن التنظيم هنا برأي علماء السلفية في قول»من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فإنه يكفر»، وأن هذا القول لا يؤخذ على عواهنه ولا إطلاقه، بل ثمة ضوابط لهذا الناقض، من لم يفقهها «أدى به عدم فهمه إلى التسلسل في التكفير».

تعلموا أمر دينكم.. رسالة داعشية في التكفير

في نهاية المطاف، لا يخرج هذا الاستدراك عن نطاق تحصين الذات إزاء «الناقض» ـ الأزمة، الذي يوقع أتباعه في عملية دائرية، فيلف كل منهم الحبل حول عنقه، فإن لم يكفّر الكافر وقع هو في الكفر، وما يترتب عليه من متواليات عقدية.

وهنا يأتي مصنّف المقرر على النقطة المفصلية والخلافية بين «داعش» و»تيار الحازمي» والتي على أساسها سالت الدماء وانشق فريق من «الدولة»، أي «داعش». وقد جاء: «ومن لم يكفّر الكافر فقد يكون لا يعرف حاله، كمن لم يعلم أن فلاناً من الناس تلفّظ بالكفر أو فعل فعلاً مكفّراً، فهذا معذور وليس داخلاً في القاعدة، وهذا ما يسمى بجهل الحال». وهنا افترق «تيار الحازمي» عن «الدولة» على خلاف حول «تكفير الجاهل»، ولكن ليس على سبيل نفي «الدولة» التطرّف عن نفسها إزاء الآخر، من خارج المجال السلفي الوهابي، فهذا لا يختلف عليه إثنان من كل الطيف السلفي بأنواعه، ولكن الهدف من المنافحة الداعشية: تحصين قلاع «الدولة» من سهام التكفير في داخلها، أي من حركة تمرّد عقدية داخلية تهدّد التنظيم.

بكلمات أخرى، أن إعادة ضبط «الناقض الثالث» لا يعكس روح التسامح الديني، ولا نزعة الإعتدال لدى قادة «داعش» وشرعييه إزاء المذاهب الإسلامية الأخرى، فهذه الإعادة تقع خارج الجدل العقدي الوهابي، لوجود إجماع على تكفير من ليس على الطريقة الوهابية في عقيدة التوحيد باشتراطاتها المنصوصة. باختصار، إن «المقرّر» يقدّم شرحاً بخلفية دفاعية لناقض لا يزال يمثل مستنداً للمتفارقين، فأراد «داعش» حماية قاعدته من أن يطاولها «التكفير» لإحجامها عن تكفير من كفّره بعض شرعييه أو ثبت كفره، وفق المعايير الوهابية من أفراد، أو جماعات، أو دول.

بدا «داعش» متشدّداً في «قيود» التكفير بما يعكس حالة القلق التي يعيشها إزاء «تيار الحازمي» الذي يتلطى وراء نصوص تبدو في المنطق الجدلي الوهابي متينة الى القدر الذي استوجبت «استنفاراً ثقافياً داخلياً».

استنفار داعشي (من لم يكفر الكافر)!

أسهب «مقرّر في التوحيد» في تعريف أحوال الكفر والكافر، فتوقف عند معرفة حاله «وأما إذا كان يعرف حاله ـ أي حال الكافر ـ فينظر فيه بحسب الكافر الذي لم يكفّره أو شكّ في كفره أو صحح مذهبه». هنا تبدو النزعة التبرئوية نافرة، وتتعلّق حصرياً بالطرف الثاني: من لم يكفّر الكافر، فيفتح له باب الإحتمالات، بالنظر في حاله هو وليس في الكافر، والغرض النهائي واضح بتحرير الطرف الثاني من قيد الأول، أي الكافر.

وعلى أفق واسع، ينظّم المقرّر نقاشاً عقدياً لتحقيق الفصل بين الكافر ومن لم يكفّره، بتقسيم الكفّار، من حيث الجملة، الى: الأول، الكافر الأصلي (من غير المسلمين)، وهؤلاء «من لم يكفّرهم أو شكّ في كفرهم، كفر». والثاني: الكافر المنتسب إلى الإسلام، وهو «من نطق بالشهادتين، ولكنه ارتكب مكفراً يخرجه من دائرة الإسلام». وحيث لا خلاف على الأول، ولا خلاف أيضاً في شطر من الثاني، لجهة تكفير غير أتباع مذهب السلف، فإن الجدل يحتدم حول الفكرة الخلافية: الكافر وتكفير من لم يكفّره.

ويفتتح السجال من التكفير ذاته، ومن ينطبق عليهم، والموقف منهم، ويبدأ ممن تفاوت كفرهم وضوحاً وخفاءً، ومن هؤلاء، وفق التصنيف الوهابي، «من كفره واضح صريح.. كالمشركين الذين يدعون ويعبدون غير الله..». والنقاش حول من لم يكفّر هؤلاء، وهناك حالتان: «إما أن يرى فعلهم صحيحاً ويقرّهم عليه فهذا كافر مثلهم ولو لم يرتكب الشرك بنفسه، لأنه صحّح وأقرّ فعل الشرك، وهذا كفر..». والحالة الأخرى، وهي مربط الفرس في السجال الداخلي بين «داعش» وخصومه، ولا سيما «تيار الحازمي»، فجاء ما نصّه: "وإما أن يقول إن فعلهم كفر وشرك، ولكن لا يكفّرهم تأولاً عذرهم بالجهل، فهذا لا يكفّر لأنه لم يصحّح أو يقرّ فعلهم ولكن عرضت له شبهة عذرهم بالجهل، فلا يكفر للشبهة التي عرضت له، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات فمن باب أولى التكفير، ومن ثبت إسلامه بيقين لا يخرج منه إلا بيقين، والتأويل في إعذارهم بالجهل يمنع تكفيره ابتداءً حتى تتبيّن له النصوص، وترفع عنه الشبهة فإن لم يكفّرهم بعد ذلك، كفر".

يلخّص هذا النص جوهر الخلاف بين «داعش» و»تيار الحازمي»، وعلى أساسه كفّر الأخير «أبو بكر البغدادي» وأتباعه.

في تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله ونحوه، فإن مصنّف «مقرر في التوحيد» يبدي تسامحاً ويعيد استعمال آلية الاحتمالات، «أن يكون تكفيره محتملاً للشبهة»، وإن ورودها «فلا يكفّر من لم يكفرهم»، ما لم تقم الحجة، وكشفت الشبهة، «وعرف أن حكم الله فيهم هو تكفيرهم». وأيضاً، ومن باب الاحتمالات، أن يكون التكفير

«مسألة اجتهادية» كحكم تارك الصلاة ونحوه، «فإن هذه المسائل لا يكفّر فيها من لم ير كفر مرتكبها بل ولا يبدع ما دام أن أصوله أصول أهل السنة والجماعة».

ماعدا ذلك، فإن «داعش» لم يتردّد في السير على الطريقة الوهابية في تكفير من أسماهم «القبوريين»، ويحيل هنا الى آراء مشايخ المذهب في تكفير من شكّ في كفرهم «أو كان جاهلاً في كفر القبوريين».

والكتاب في مجمله نسج على منوال رسائل ابن عبد الوهاب في التوحيد، والأصول الثلاثة، وكشف الشبهات(٣).

في رسالة أخرى مشابهة بعنوان (تعلموا أمر دينكم) مع مزيد من التفاصيل. وذكر في الناقض الثاني، أي الكفر، تسعة أنواع، وفي التاسع منها: «من لم يكفّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر». وكما في «مقرر في التوحيد»، فإن الرسالة تقدّم مطالعة تفصيلية من خلفية دفاعية فيما يخص «تكفير من لم يكفّر الكافر»، انطلاقاً من أن تكفير من لم يكفّر الكافر إنما يصدق على من «بلغه نص الله تعالى القطعي الدلالة على تكفير في الكتاب، أو ثبت لديه نص رسول الله (ص) على تكفيره بخبر قطعي الدلالة رغم توفّر شروط التكفير وانتفاء موانعه عنده..»(٤).

وفي توضيح هذا الناقض، أورد أحوال من لم يكفّر المشركين:

١ ـ من لم يكفّر مَنْ نَصّ الوحي على تكفيره بعينه فهو كافر، كمن لم يُكفّر إبليس أو فرعون أو هامان أو أبا جهل أو أبا طالب أو غيرهم فهذا كافر، لأنّه ردَّ على الوحي وكذّبه، ولم يخالف في هذا إلا من طمس الله بصيرته، فهذا حَكَم بخلاف حكم الله وعقّب على الله»

٢ ـ «من لم يكفّر الكافر الأصلي كاليهودي والنصراني والمجوسي ونحوهم فهو كافر».

٣ ـ "من لم يكفّر من أجمع العلماء على تكفيره بعينه فهو كافر".

٤ ـ من تبيّن له بالأدلة الشرعية كفر فلان من الناس بعينه ثم توقّف عن تكفيره فهو كافر.

ما إن يقبل «داعش» صيغة التوحيد بأنواعه الثلاثة، فسوف يخلص، حكماً، الى تكفير البشرية قاطبة، لأن بها وحدها يتحقق شرط الايمان!

يستثنى من تلك الحالات: من ارتكب ناقضاً مختلفاً فيه فلا يُكَفّر من لم يُكَفّره كترك الصلاة. مسألة: لا يكفّر من توقف من جهال المسلمين في ذلك إلا بعد إقامة الحجة عليه، وذلك يكون بأمرين: ١ ـ بمعرفة مقالتهم الكفرية إن كان ممن يجهل حالهم. ٢ـ معرفة مناقضتها للإسلام إن كان ممن يجهل ذلك أيضاً" وترد هذه غالباً في موانع التكفير(٥).

وأفردت الرسالة قسماً خاصة في نواقض الاسلام التي يعذر من وقع فيها بالجهل والتي لا يعذر فيها. وتأتي في سياق الرد على الشيخ الحازمي وأتباعه داخل «الدولة». وفي مسألة العذر بالجهل تذكر الرسالة حالات منها ما لا يعذر فيها بالجهل: أصول الدين، وهو ما ينقض المعنى الإجمالي للشهادتين كصرف عبادة محضة لغير الله، أو الانتقاص من الله عزوجل أو من رسوله (ص)، أي «ما تقوم الحجة فيه بمجرد فهم الشهادتين، فهذا لا يعذر فاعله بالجهل ولو نشأ في بادية بعيدة عن حاضرة العلم أو كان حديث عهد بجاهلية، وذلك لأن الحجّة مقامة بمجرد فهم الشهادتين، ففاعله أحد رجلين، إما أنه يفهم معنى الشهادتين وفعل ما يناقضهما، فهو مرتد، أو أنه لم يفهم معنى الشهادتين فهو لم يحقق شرط الإسلام وهو العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، وإن كنا نحكم عليه بالردة لأنه ادعى الإنتساب للإسالم، ولذلك ففاعله لا يعذر بحال». ونحن أمام فهم خاص يراد تلبيسه صفة «الحقيقة الدينية» النهائية، أو إنزالها منزلة «الحكم الالهي» أو «الوحي».

الثانية: المسائل الظاهرة (وهي المسائل المعلومة من الدين بالضرورة)، وهي الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة التي لا يمكن فيها الغلط من الخبر والتأويل، ولا يجوز فيها التنازع، ويعلم العامة والخاصة من المسلمين أنها من دين الإسلام، كالعلم بأنّ الله على كل شيء قدير، وأن الله سميعٌ بصير، وأن القرآن كلام الله، وكوجوب معاداة اليهود والنصارى والمشركين، ووجوب التحاكم إلى شرع الله ونحو ذلك، وكوجوب الصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، والزكاة من أموالهم، وحرمة الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنى ذلك مما كُلّف العباد أن يعتقدوه أو يقولوه أو يعملوا به.

فهذه لا يعذر فيها بالجهل إلا من كان خارج مظنة العلم، وهي: «إمكان وصول العلم إليه أو وصوله إلى العلم مع إمكان الفهم بنفسه أو بوسيلة في مقدوره"، ومثاله من نشأ ببادية بعيدة عن حاضرة العلم، أو كان حديث عهد بجاهلية، أو نحو ذلك.

الجدل الذي شقّ داعش: تكفير من شك في كفر الكافر!

المسائل الخفية: وهي المسائل التي قد يخفى دليلها، كمسائل في القدر، والإرجاء، والتأويل، والوعد، والوعيد، وكبعض مسائل الأسماء والصفات، كالنزول والرؤية واليدين لله، ونحو ذلك مما لا يعلمها إلا خاصة الناس دون عامتهم "فهذه يعذر بالجهل صاحبها ولا يُكَفَّرُ إلا بعد إقامة الحجّة عليه وإزالة الشبهة عنه" (٦).

وفي رسالة بعنوان (التقريرات المفيدة في أهم أبواب العقيدة)، وجاء في الفصل الخاص بـ (نواقض الاسلام)، وفي الناقض الثالث منه: من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم أو صحّح مذهبهم، وأعاد التأكيد على ما ورد في «مقرر في التوحيد»، بضرورة ضبط الناقض قبل انزال الحكم حتى لا يؤدي عدم فهمه الى التسلسل في التكفير، وأن مناط التكفير ليس الكفر مندرجاً تحت أصل الكفر بالطاغوت مطلقاً، وإن مناط كفر من لم يكفّر الكافر هو تكذيب الكتاب والسنة (٧).

وقد ردّ التيار المضاد على إطروحة «داعش» بعنوان (الرد على دولة الأصنام في العراق والشام..في جعلهم مناط تكفير من لم يكفر المشركين هو التكذيب). وقد أدرك صاحب الرد الغاية من التفصيل الوارد في (التقريرات)، وهو "أن تكفير عاذر المشركين لا يكون الا بعد أن نُبيّن له النصوص الدالة على كفر من أشرك بالله فاذا ردّها حينئذ يكفر..".

في الرد، الذي وضعه تحت عنوان (أمّا عند المسلمين)، مخرجاً بذلك «داعش» من دائرة الاسلام، وقد أخرج قبل ذلك معظم المسلمين. ويثبّت تيار الحازمي على أن «تكفير المشركين و البراءة منهم داخل في صفة الكفر بالطاغوت..»، محيلاً الى رأي للشيخ محمد بن عبد الوهاب في ربط الكفر بالطاغوت ببطلان عبادة غير الله وتركها، وبغضها، وتكفير أهلها، ومعاداتهم. ويخلص إلى أن «من لم يكفّر المشركين يكون غير محقق لصفة الكفر بالطاغوت و مخلّ بها»، ويستند في ذلك الى آراء مشايخ الوهابية مثل الشيخ عبد الرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٨).

لم يغلق «داعش» باب الجدل حول «تكفير العاذر» الذي أثاره تيار الحازمي، برغم من تصفية التنظيم من قيادات شرعية وعسكرية رفيعة المستوى، وطرد العشرات من التنظيم. فالزوابع الفكرية التي أثارها التيار كانت كفيلة بإحداث زعزعة عنيفة للقواعد الشعبية ولمشروعية التنظيم. وفي النتائج، كشف السجال عن إمكانية تناسل تيارات أشد تطرّفاً، وتسلسلها، إذ إن النص التكفيري الوهابي لا يزال مفتوحاً على تفسيرات راديكالية.

كما أصدر المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية الذي يشرف عليه وزير إعلام التنظيم أبو محمد الفرقان الذي قتل في غارة لطيران التحالف الدولي في سبتمبر ٢٠١٧، بيانًا منع فيه استخدام مصطلح «تكفير العاذر» معللاً ذلك بأنها عبارة «غير منضبطة»، مؤكداً في السياق ذاته أن وجوب تكفير من لم يكفّر «المشركين العابدين لغير الله، والمنتسبين للإسلام»، كما منع التنظيم عناصره من استخدام مصطلحي «الأصل واللازم في معنى لا إله إلا الله، والكفر بالطاغوت بهذه الطريقة الجدلية» وذلك بسبب وجود منازعات بين عناصره الذين حذرهم من انتشار «التبديع والتكفير» بينهم.

بيئة داعش: داوها بالتي هي الداء

ما يلفت أن «داعش» لم يتمكن من تحصين بيئته وقاعدته الشعبية من التطرّف، إذ ظهر إتجاه من داخل الدولة نفسها ينزع نحو «تكفير» من يخالف «الدولة» ويخرج عليها. وقد صدر بيان عن (اللجنة المفوضة) في (الدولة الاسلامية) في ١٧ مايو ٢٠١٧ الى كافة الولايات والدواوين والهيئات بعنوان (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة)، وأرّخوا لدولة بكونها امتداداً لتجربة الدولة السلفية الوهابية في نجد: «وذلك حين أذن الله تعالى بظهور الدولة التي أقامها علماء الدعوة النجدية وأئمتها والذين قد أعذروا الى الله في محاربة شرك القبور ودعوا الى الله على بصيرة باللسان والسنان فألفّوا الكتب وصنّفوا وتنقلوا في البلاد ودعوا الى التوحيد والجهاد وقامت قرابتهم قرابة سبعين عاماً على هذا..».

ثم ينتقل الى تجربة «الدولة الاسلامية»: "وعلى مثل ذلك قامت الدولة الاسلامية التي قدّمت عشرات الألوف من أبنائها لمحاربة شرك الدستور المتمثّل في النظام العالمي الذي اجتمع لحربها من مشارق الأرض ومغاربها، وقد علم القاصي والداني بأن هذه الدولة تحارب لتحكيم الشريعة ونبذ القوانين الوضعية الوضعية، وهدم القباب التي تعبد من دون الله سواء القباب التي فوق القبور أو القباب التي تعلو المجالس البرلمانية...».

أبو جعفر الحطاب، رئيس جهاز قضاء داعش، وتلميذ الحازمي، كفر داعش فكفرته وأعدمته!

يضيف: «وهذا الذي دعت إليه الدولة الاسلامية منذ بداية تأسيسها على يد الشيخ أبي مصعب الزرقاوي فكفرت بطواغيت الأرض وقوانينهم وحدودهم وشرائعهم وشعائرهم وقاتلت جميع أصناف المشركين من الرافضة والعلمانيين والديمقراطيين بعد تكفيرهم وإظهار العداوة لهم وكفرت المجادلين عليهم ولأجل هذا تُقاتِل وتُقاتَل اليوم».

الرسالة الكامنة في الفقرات: أن لا مزايدة على «داعش» في التكفير، فقد سبق أقرانه ومجايليه في مضمار التكفير، وقد كان ذلك ما أسّس له الزرقاوي منذ البداية، حين قسم البشرية الى: أهل التوحيد وأهل الشرك.

وسرد البيان أطرافاً من سيرة قادة «الدولة» في توسّلهم التكفير عقيدة وسلاحاً ضد الخصوم، في إطار نفي «التميّع العقدي» مع الآخر من غير (أهل التوحيد). كما وينقل نصاً للمسؤول الاعلامي لتنظيم «داعش» يؤكّد فيه النزعة التكفيرية فيه كقوله: "سنكفّر المرتدين ونتبرأ منهم، ونعادي الكفّار والمشركين ونبغضهم.. فلا يسعنا موالاة الكفّار والمرتدين من المجالس العسكرية والوطنية أو الفصائل الديمقراطية.. ولا يمكننا أن نداهنهم ونسارع فيهم، فلا نكفر بشركهم، ولا نعلن لهم العداوة والبغضاء، ونظهر لهم الإخاء والمحبة والولاء، كما تفعل قاعدة الشام، جبهة الردة الخاسرة، فإن لم نظهر للكفار العداوة والبغضاء ضاع الولاء والبراء، وذهب معه الدين، واختلط الكافرون بالمؤمنين». وعاد «داعش» ونأى بنفسه عما وصفها «التصريحات التي تميّع عقيدة الولاء والبراء وتدفن ملة إبراهيم - عليه السلام - بشبهات أهل الأرجاء والتجهم، وكذلك أقوال أهل الغلو الذي مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فالدولة بريئة منها، ولا يحق لأحد أن يتكلم باسمها أو ينسب اليها قولاً لم تقل به، فقلوها ما قال إمامها ومفوضيه، أو متحدثها الرسمي».

ويتعامل البيان مع صنفين من الناس:

الصنف الاول: من نسب الى الدولة أقوالاً ارجائية مخالفة لمنهجها، أو زعم أن ما يتبناه أو يقول به هو قول الدولة الاسلامية، وهؤلاء على أضرب:

١ - من كان يقول باسلام من لا يكفر طاغوت قومه ويزعم أنه قول الدول الاسلامية، والصحيح «هي تكفر الطواغيت ومن جادل عنهم ولم يكفرهم ولا كرامة».

٢ - من كان يجعل تكفير المشركين مسألة خفيّة أو خلافيّة، ويضع للعمل بها قيوداً ثقيلة بحيث يعود الى تعطيل الناقض الثالث جملة وتفصيلاً، وبالتالي فلا يكفر عنده من توقف في عابد الصنم مطلقاً وبكل أحواله سواء عد فعله من قبيل الشرك أولاً إلا بعد التعريف، وكذلك لا يكفر عنده المتوقف في سباب الله تعالى الا بعد التعريف...الخ. ثم يقول: «وهذا محض افتراء بل لقد علم القاضي والداني أن الدولة الاسلامية لم تتوقف يوماً في تكفير المشركين، وأنها تجعل مسألة تكفير المشركين من أصول الدين الظاهرة والتي معرفتها تجب قبل معرفة الصلاة وسائر الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة، كما بيانها الصادر عن المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية في حكم المتوقف في تكفير المشركين في ١٤٣٧/٨/٢٢هـ. وذكر حالات أخرى منها عدم تكفير المنتخبين لجهلهم بحقيقة الانتخبات وغيرها.

الصنف الثاني: من طعن في «الدولة الاسلامية» بل وكفّرها لتأثره ببدعة الخوارج والمعتزلة، فعاب بعضهم عليها أقوالاً في محض قول أهل السنة والجماعة جهلاً منه بمنهج أقوال أهل السنة، ونسب البعض الآخر اليها أقوالاً لم تقل بها أصلاً.

فمنهم: من كفّرها لأنها تقول بالتسلسل البدعي، وهذا حق وهي تجري في ذلك على مقتضى قول أهل السنة والجماعة.

ومنهم: من نسب الى الدولة لأنها توّصّل الاسلام في ديار الردة (الكفر الطارىء).

ومنهم: من كفّرها بدعوى أنها تبيح فعل الكفر الصريح لمصلحة الحرب.

وكشف البيان: «ومنهم من انقلب على عقبيه، فنكل عن بيعته، وهرب الى ديار الكفر متذرعاً بدعوى وقوع الخطأ والتقصير والتفريط والظلم من بعض الأمراء..»، وعلّق بأن: «غاية ما يريد هؤلاء أن يسوغوا لأنفسهم الهروب من دار الاسلام الى ديار الكفر»(٩).

في التقيم الاجمالي، يمثّل التعميم انتصاراً حاسماً لتيار الحازمي، الذي نجح في أن يعيد «داعش» الى مربع التكفير الأول، وأن يملي على «الدولة» اعتناق الرؤى التكفيرية التي فارق فيها التنظيم.

في السياق نفسه، أصدرت اللجنة المفوضة داخل تنظيم الدولة بياناً رسمياً في أواخر يونيو ٢٠١٧ موجّه الى المكاتب الشرعية في التنظيم بضرورة سحب بعض المقررات، والمناهج التي يتم تدريسها لمقاتلي التنظيم والطلاّب. ومن أبرزها: "مقرر في التوحيد، تعلموا أمر دينكم، فقه النوازل، السياسة الشرعية، التقريرات

المفيدة في أهم أبواب العقيدة»، وهي التي صمّمت في الأصل لمواجهة أفكار تيار الحازمي المتطرّفة. وقد قيل حينذاك، أن البيان يعكس النفوذ الواسع الذي يتمتع به تيار الحازمي داخل «داعش»، الى درجة أنه نجح في الوصول الى اللجنة المفوّضة، برغم كونها موضع ثقة الخليفة!

وفي رد على البيان، كتب شرعي «داعش» تركي البنعلي الى اللجنة المفوضة ملاحظات على تعميم (ليهلك من هلك عن بينة...الخ)، بعد أن حقق انتشاراً واسعاً، حتى أنه كان بمثابة مستمسك بيد خصوم «داعش» من تيار الحازمي وطالبوا البغدادي «بتجديد إسلامه والتوبه من ردّته». وأن التعميم وبدلاً من أن يدرأ عن «الدولة» تهمة «التميّع»، تحوّل الى شهادة إدانة «واعطى الضوء الأخضر للغلاة ليشمتوا بالدولة الاسلامية..».

تيار البنعلي البحريني وانهيار داعش

وعاب البنعلي على أصحاب التعميم التعجّل في إخراجه الى العلن، ولم يعرض «على طلاب العلم الراسخين..». ولفت الى أن "تعاميم دولة الخلافة وبياناتها عبارة عن ردود أفعال لما يصدره الغلاة من صوتيات وكتابات". وأنه خرج بهدف "اتقاء طيش الغلاة". وكشف البنعلي التناقضات التي وقع فيها التعميم من بينها «القول الأول.. لأن تكفيرهم من أصل الدين..»؛ ثم جاء في تخطئة ذلك ما نصّه: «إن القول الأول متضمن لمعنى فاسد..»، برغم من أن وزير الاعلام في «الدولة» العراقي أبو محمد الفرقان يقول (بطلان القول الأول - أي الأصل)، ومنها "أن الدولة الاسلامية لم تتوقف يوماً في تكفير المشركين، وأنها تجعل مسألة تكفير المشركين من أصول الدين الظاهرة..".

> في الناقض الثاني للاسلام: الوسائط بين العبد والخالق، حيث يقع التناقض بين القول بالكفر بإجماع المسلمين والقول بأن أغلب المسلمين واقع فيه!

ويرصد مواقف الزرقاوي في الإحجام عن تكفير بعض شيوخ الوهابية وأمراء آل سعود، من بينهم الملك عبد العزيز آل سعود ومشايخ الوهابية مثل: إبن باز، وابن عثيمين. ودافع عن موقف «العذر بالجهل» في مقابل القول بـ «التكفير من أصول الدين الظاهرة».

وذكر النبعلي بمواقف قادة «داعش» من بينهم ابو محمد العدناني الذي حكم بإسلام عموم أهل السنة في العراق والشام. مع أن ذلك متعارض مع مضمون أدبيات العقيدة الوهابية التي يتبناها «داعش».

ويعتقد أغلب الناس داخل «الدولة الاسلامية»: «أن الدولة الاسلامية تكفّر كل من بخارجها»، وهي عقيدة الخوارج كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري في (مقالات الاسلاميين ١/٨٨): «وزعمت الأزارقة أن من أقام في دار الكفر فهو كافر، لا يسعه الا الخروج»، وحيث أن كل من يعيش خارج النطاق الجغرافي لتنظيم «الدولة» فهو في دار الكفر، فإن الكفر يلحق به(١٠).

تكشف مصادر مقرّبة من «داعش» أن تركي البنعلي البحريني، المفتي العام سابقاً، جرى تهميش دوره بعد احتلال التنظيم لمدينة «الموصل»، شأن كثير من الأجانب، وكشف مقتله عن الخلاف الحاد بين تيارين رئيسيين: تيار داعش وتيار الحازمي الذي يوصم بالبنعلي بالكفر ويحرّم الصلاة خلفه أو الترحّم عليه، وحمّله مسؤولية «تمييع» التنظيم من خلال التساهل في «التكفير» وخاصة مع الجاهل.

إن إعدام قادة تيار الشيخ أحمد بن عمر الحازمي، الذي يعيش في السعودية، واعتقال العشرات من أنصاره داخل «الدولة»، وفرار آخرين كثر خارج مناطق سيطرة الأخيرة، لم يضع نهاية للتيار، بل لحظنا من تنامي النزعة الراديكالية في التنظيم أن تيار «الحازمي» لا يزال يمثّل قوة فارقة في مفاصل «الدولة» ومؤسساتها ولا سيما في «اللجان الشرعية والإعلام». اللافت أن أربعة أعداد من مجلة «النبأ» الإسبوعية الناطقة باسم «داعش»، وكذلك وكالة «أعماق» لم تأت على نعي البنعلي، ما دفع مصادر داخل التنظيم للقول بأن المجلة خاضعة تحت سيطرة «الحازميين»(١١).


فرقة البنعلية، تُنسب الى البحريني تركي البنعلي الذي اعدمته داعش

وإن المؤشرات تفيد بأن التصدّعات داخل «الدولة» تتسع نتيجة السجالات الايديولوجية الحادّة.

في الكلمة الصوتية لمتزعم «الدولة الاسلامية» أبو بكر البغدادي، في ٢٨ سبتمبر ٢٠١٧، والمنشورة في مجلة (النبأ) الناطقة باسم التنظيم في العدد التاسع والتسعين بتاريخ ٨ محرم ١٤٣٩هـ بدا البغدادي اعتذارياً أكثر منه هجومياً، فقد استعان بالسيرة النبوية لرصد قصص المحن التي عاشها الجيل الاول نتيجة ما أصاب المسلمين من تحدّيات وانكسارات عسكرية ومحن (وتوالت الاحداث في دار الهجرة وأرض الاسلام، وظل البلاء قدر تلك الطائفة المؤمنة، وكثر الوافدون والداخلون في الاسلام من غير أهل المدينة، فثبت ونجا من صبر وأخلص دينه لله، ونكص وخاب من دبه الريب وسعى في غير رضى مولاه..»، ويلفت في ذلك الى تناقص أو انسحاب أعداد من المقاتلين وكوادر «الدولة»، ويستعين بالسيرة النبوية في تفسير الوقائع الحالية وما أصاب التنظيم من خسائر: «وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع الصحابة على الإيمان وعلى أن ينصروا دين الله، وكان يخبرهم أن الله ناصر دينه، دون أن يضرب لذلك أجلاً محدداً، أو كيفية معينة، حتى لا يربطوا النصر والخسارة بفقد أرض أو مقتل أحد من المؤمنين».

وبعد أن يروي سيرة «الدولة» من الزرقاوي مروراً بأبي عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر الى أن بدا الانكسار في التجربة «وغدا السائر في طريق الجهاد يرى عجباً من تقلّب الأحوال، ما بين صابر ثابت ومنتكس مرتكس ناكث، فتمايزت الصفوف ونفي الخبث، وظل السائرون الثابتون على الطريق..».

بدت لغة الاستغاثة واضحة في كلمة البغدادي لانقاذ مشروع دولته وهو يتلطى وراء «أهل السنة» ويخاطبهم: «فقولوا لي بربكم، ماذا جنيتم من محافل الذل وفتات الداعمين، سوى مهادنة النصيرية وتسليم دياركم، وأصبح أبناؤكم وقود حرب يشعلها الصليبي الكافر ضد دولة الاسلام، أو تظنون أنكم اليوم بمنأى من بطش النصيرية وداعميهم، كلا والله، لقد حذرناكم من قبل...». وحمل على حكومات المنطقة ووصفها بالمرتدة، وقال عن أردوغان «المرتد الإخواني التركي».

وخاطب أنصاره بتودّد لافت بالقول: «فإياكم ياقرّة العين إياكم أن يحدّث أحدكم نفسه بالنكوص أو الانهزام، أو المفاوضة أو الاستسلام، فلا يلقين أحدكم سلاحه..». وفي الوقت نفسه، يؤكد البغدادي على مخططه الاستراتيجي في دعائه آخر الكلمة: "اللهم عليك بطواغيت آل سلول، اللهم أزل ملكهم وافتح لنا ديارهم..»(١٢).

وبصورة إجمالية، فإن الخطاب يعبّر عن مرحلة جديدة ينتقل اليها «داعش»

بعد خسارته كثيراً من المراكز الحيوية، مثل سرت الليبية، والرمادي، وأخيراً عاصمة دولته، الموصل، فيما تتداعي بقية حصونه في بقية محافظات العراق والشام، وأيضاً بسبب الانقسام الحاد الذي شهده التنظيم على وقع السجال العقدي حول تكفير «العاذر بالجهل».

ينبّه ظهور البغدادي بعد عشرة شهور على آخر كلمة صوتية له، وبعد تطوّرين دراماتيكيين: سقوط الموصل، والسجال الايديولوجي داخل التنظيم، وبعد موجة شائعات حول مصير البغدادي نفسه، الى أن «داعش» يعيش وضعاً بالغ الصعوبة، تطلب تدخّلاً مباشراً من زعيم «الدولة»، لوضع نهاية حاسمة للخلاف الداخلي، ونفخ الروح مجدداً في جسد «الدولة» بعد الضربات القاصمة التي تلقتها.

وكان البغدادي قد بعث في ٢٢ إبريل ٢٠١٧ برسالة موجّهة الى (اللجنة المفوضة ومن ولوا أمر الإشراف عليهم من أمراء الدواوين وولاة المناطق..) يطالب فيها بالحلم والأناة مع الرعية «فسدّدوا، وقاربوا وبشروا، ولا تنفروا، وإنا لنبرأ الى الله من كل مظلمة رفعت فحجبت عنا ولم تقضى لأصحابها.. فكونوا على قدر ما أوليناكم من الثقة والأمانة وحسن الاستقامة..». وتأتي هذه الرسالة عقب موجة الإعدامات التي طالت عدداً من الشرعيين، والكوادر التابعين للحازمي، فأراد البغدادي إظهار وجه إنساني ودي لتغيير الانطباع السائد عن «الدولة» التي بدت عليه الميول المستبدة نحو العنف(١٣).

شكّل غياب البغدادي عن الاعلام، وعن أنصاره أيضاً، فرصة لتنامي نفوذ تيار الحازمي المنافس، واحتدام الصراع الداخلي على قاعدة إيديولوجية، وكانت عودته فارقة لحسم الصراع الذي عكسته البيانات والبيانات المضادة، الى جانب الشائعات التي راجت في الشهور الاخيرة حول مقتله، وقرّر الظهور اعلامياً وتنظيمياً بهدف إحداث تغييرات هيكلية راديكالية، فأصدر أوامره باجتثاث «الغلاة الحازميين»، بالسجن، أو القتل، أو الطرد، ما لم يعتزلوا «معتقد الخوارج».

لمزيد من التوضيح، إن انحسار هيمنة داعش على كثير من المناطق، والاختفاء القسري لكثير من قيادات «داعش»، تركا تأثيرات مباشرة على تماسك التنظيم نفسه، وقد أفادت العديد من التقارير بقيام عناصر من «داعش» بنقض البيعة للبغدادي، بسبب اختفائه، أو ربما موته، وبالتالي عدم قدرته على القيام بشئون "الدولة".



ابو محمد العدناني متحدث داعش: غموض في مقتله

وبعد خسائر التنظيم الفادحة في العراق وسوريا وانحسار الأرضي التي كان يسيطر عليها، قامت مجموعات بالانشقاق والهرب الى خارج نطاق سيطرة «الدولة» والمغادرة الى تركيا أو سوريا أو الانضمام الى تنظيمات أخرى، كانت منضوية فيها سابقاً في العراق مثل «جيش المجاهدين» أو «أنصار السنة» أو «الجيش الاسلامي».

واستشهد المناقضون لبيعة البغدادي برأي لابن تيمية في (منهاج السنة) يرد فيه على عقيدة الشيعة في الامام المهدي «إنّ النبي — صلّى الله عليه وسلّم — أمَر بطاعة الأئمّة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يَقدرون به على سياسة الناس لا بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا مَن ليس له سلطان ولا قُدرة على شيء أصلاً، فمَن نزل نفسه منزلةَ وليّ الأمر الذي له القُدرة والسلطان على سياسة الناس، فدعا جماعةً للسمع والطاعة له، أو أعطَتْه تلك الجماعة بيعةً تسمع وتطيع له بموجبها، وولي الأمر قائمٌ ظاهر فقد حادّ الله ورسوله، وخالف نصوصَ الشريعة". وكون البغدادي غائباً عن الأنظار، أو لا حول له ولا قوة أو فاقد للقدرة على سياسة الناس، وعاجز ولا يستطيع أن يحمي البلاد والعباد فلا طاعة له (١٤).

وقد جاء في مقالة (لا ندع هذه البيعة أبداً) المنشورة في العدد (٩٧) من صحيفة (النبأ) الاسبوعية في ٢٣ ذي الحجة ١٤٣٨هـ:

"إن إقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة كانتا من أكبر الأحلام التي تراود المسلمين في كل مكان، يحدثون أنفسهم بها، ولو يبذلون أنفسهم في سبيل الله كي يروا ما يحلمون به واقعا أمامهم، أو يكون لهم على الأقل مشاركة في تحقيق ذلك. وقد منّ الله على عباده المؤمنين بتحقيق هذه الأمنية العزيزة عليهم، فقامت الدولة الإسلامية لتحكم بشرع الله تعالى، وعادت الخلافة لتجمع كلمة المسلمين تحت لوائها، وتوافد المسلمون من كل مكان للاعتصام بجماعتها، ومبايعة إمامها، وقتال المشركين في صفوف جيشها. لقد عرف الناس كلهم، لا المسلمون فحسب، فضلا عن أمراء الدولة الإسلامية وجنودها، أن قضية إقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة ستهز دول الكفر هزّاً وستدفع المشركين من كل حدب وصوب إلى أن يحتشدوا لقتالها، متحاملين على جراحهم، متناسين ما بينهم من نزاعات وصراعات وتضارب في المصالح..".

"نحن معاشر الموحدين جنود الدولة الإسلامية، فقد بايعنا الإمام الذي وليناه أمرنا على أين يقيم فينا دين الله، ويحكم فينا شرعه، ويقود جماعة المسلمين، بما يرضي رب العالمين، ويجاهد بنا الكفار والمشركين، ويرد عادية البغاة والمفسدين، وكنا نعلم يقينا أن هذا الأمر دونه خرط القتاد، وأن تعضّنا السيوف، وتطعننا الرماح، وأن يرمينا العالم كله عن قوس واحدة، وهو ما كان، والحمد لله على كل حال".

وختم «واسألوا الله أن يبارك لكم بيعتكم لأمير المؤمنين على إقامة الدين وقتال المشركين، فنعم البيعة هي والله، لا ندعها أبداً، ولا نقيل ولا نستقيل، حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الكافرين..»(١٥).

في إطار إعادة الهيكلة، وبعد البيان الراديكالي الصادر عن «اللجنة المفوضة» سالف الذكر، قرّر البغدادي في ٨ سبتمبر ٢٠١٧ إعفاء رئيس اللجنة وأعضاءها، وتعيين أمير جديد عليها هو "أبو عبد الرحمن الزرقاوي" الذي كان معتقلاً بتهمة مخالفة تعميمات اللجنة المفوّضة التي تبنّت إطروحة الشيخ الحازمي في تكفير العاذر بالجهل.

وكان أبو عبد الرحمن الزرقاوي قد ألقى بياناً صوتياً، بعد سابقة، يقرّ فيه تنظيم «الدولة» بوجود حالة «من التنازع والفرقة» عاشها التنظيم في المرحلة الماضية بسبب التجاذب الحاد بين «التيار الحازمي»، والمناصرين لأطروحته في «التكفير» ولا سيما في مسألة «العذر بالجهل»، والتيار المضاد الذي مثّله الشرعي السابق تركي البنعلي قبل مقتله.

وجاءت أغلب انتقادات التنظيم للتيار الحازمي من خلال بيان صوتي ألقاه القاضي الشرعي البارز في التنظيم ابو عبد الرحمن الزرقاوي، وهو من أبرز خصوم التيار الحازمي، وتعرض للاعتقال على يد القيادات المحسوبة عليهم في الأشهر الماضية.

وفي البيان الصوتي الذي تلاه ابو عبد الرحمن الزرقاوي (ويطلق عليه أبو عبد الرحمن الشامي أيضاً)، اتهم أتباع التيار الحازمي داخل التنظيم بالارتباط بالنظام السعودي، واعتبر أن وجود مشايخهم في السعودية وإن داخل السجون، قد يكون محاولة لتلميعهم من الحكومة السعودية، في إشارة لمتزعم التيار احمد عمر الحازمي، ووصف التنظيم هذا التيار الذي تمت تصفيته، بأنصاف المتعلمين والغلاة بالتكفير و«الخوارج»، وذكّر بتكفيرهم لبعض العلماء كالنووي والعسقلاني، كما أعلن عن سلسلة إصدارات تتعلق بأحكام فقهية، أحدها عن «الخارج لديار الكفر اضطراراً»، وهي تتعلق على ما يبدو بمراجعة للموقف من خروج المدنيين من مدن التنظيم، بعد الانتقادات الشديدة التي وجهها السكان المحليون لتنظيم «الدولة»، بتعريضه حياة المدنيين للخطر خلال النزاع المسلح، وصولاً لتنفيذ إعدامات ميدانية دموية بحق النازحين من مدنهم.

وسبق للزرقاوي الذي يطلق عليه اللقب لعلاقته القديمة بمؤسس التنظيم، أن ظهر في تسجيل صوتي لجلسة نقاشية تظهر خلافاً حاداً مع شرعيين آخرين

في التنظيم حول هذه المسائل، وتشير الأنباء إلى أن الشامي عين أخيراً قاضياً عاماً وعضواً في اللجنة المفوضة العليا، وهو بمثابة انتصار لجناح «البنعلي»، أي للتيار الذي كان يقوده الشرعي الأبرز للتنظيم البنعلي ومعه القحطاني والكويتي، وجميعهم أصدروا بيانات مكتوبة ومسجلة قبل مقتلهم، شرحوا فيها خلافهم مع التيار القريب من أفكار الحازمية داخل التنظيم المتعلقة بما يعرف بـ«التكفير بالسلسلة والعذر بالجهل» (١٦)..

وقد كشف أبو عبد الرحمن الزرقاوي عن أخطاء وقع فيها البيان السابق الصادر عن (اللجنة المفوّضة) التي خضعت تحت تأثير التيار الحازمي، قبل أن يجري عليها البغدادي تعديلاً جوهرياً بإقالة أعضائها كافة، وتطهير مؤسسات «الدولة» من عناصر التيار الحازمي، ومن بينهم قادة كبار مثل حجي عبد الناصر، الذي كان يتولى إمارة سوريا، وقد استغل فترة غياب البغدادي بدواعي المرض لتعزيز سلطانه وإفساح المجال أمام التيار الحازمي لمزيد من التوغل في الجسد التنظيمي وفي مؤسسات «الدولة»، ولا سيما في بلاد الشام. وعبد الناصر هو تركماني من بلدة تلعفر، وكان من الخصوم الشرسين للحازميين في بدايات ظهورهم سنة ٢٠١٤، وكان من بين الرؤوس القيادية في التيار الحازمي الذي تمّ استبعادهم أبو مرام الجزائري الذي غادر الجزائر الى سوريا في ٩ أغسطس ٢٠١٤، وتدرّج في النظام المراتبي الإداري في «داعش» حتى أصبح مفتي التنظيم في سوريا. وأبو مرام متّهم لدى السلطات الرسمية في بلاده بتجنيد عناصر لحساب «داعش»(١٧).

ومن بين القيادات أيضاً، أبو حفص الودعاني الجزراوي (السعودي)، ولم ترد أية معلومات إضافية عنه، وأبو أسماء التونسي، وقد لعب هؤلاء، إلى جانب حجي عبد الناصر، دوراً مركزياً في إدارة عمليات وادي الفرات ودير الزور، ووجّهت لهم إتهامات بالضلوع في مقتل الشرعيين البحريني تركي البنعلي والسعودي عمر القحطاني (أبو بكر)، «بعد استدعائهم من قبل رؤوس هذا التيار ـ الحازمي ـ للتحقيق معهم في اعتراضاتهم على بيان «ليهلك من هلك عن بينة»(١٨).

استغل التيار الحازمي غياب البغدادي وهزائم داعش فبسط نفوذه، وقاد انقلاباً داخلياً فاعتقل قيادات وعزل شرعيين وألغى مقررات

البيان الموقع من «أبو عبدالرحمن»، أكد رسمياً ما تداوله أنصار تنظيم الدولة الإسلامية أن أبا بكر البغدادي عزل أمير اللجنة المفوضة وأعضاءها وقرّر تعيين «الزرقاوي» أميراً جديداً لها بعد أن كان سجينا بتهمة مخالفة تعميمات اللجنة المفوّضة التي تبنّت فيها ضمنياً تأصيلات الشيخ السعودي أحمد بن عمر الحازمي، كما أسلفنا.

حسابات مقرّبة من "داعش" على مواقع التواصل الاجتماعي، أعربت عن ابتهاجها لضرب تيار الحازمي، الذي كاد أن يختطف قرار «داعش» ويفرض أجندته، والعودة الى الفكرة التأسيسية لجماعة تكفيرية معيارية بعدم القبول بعذر الجاهل في مسائل «الشرك الأكبر»، والتي انتهت الى مقتل الشرعي العام السابق تركي البنعلي، والمسؤول الاعلامي للتنظيم أبو محمد العدناني في ظروف غامضة، وفق ترويجات خصوم التيار الحازمي في «الدولة».

بل زاد على ذلك، وفي سياق تبرير الهزائم المتوالية التي لحقت بـ «داعش» أن تغلغل تيار الحازمي في الدولة وسيطرته على مراكز صنع القرار فيها، تسبب في إلحاق الهزيمة للدولة وإشغالها من الداخل وإضعاف شوكتها، وسط عجز أبي بكر البغدادي عن متابعة شؤون دولة الخلافة.

ويرجع أنصار هذا الرأي في «داعش» الى بيان اللجنة المفوّضة الذي بدا وكأنه صادر عن أتباع الحازمي وليس البغدادي، وقد أثار جدلاً واسعاً في صفوف شرعيّي ومقاتلي "الدولة"، بما تضّمنه من اعتناق واضح لمنهج الحازمي في ثلاث نقاط أساسية: تأصيل الكفر في الدول العربية والإسلامية، وتكفير أعيان المنتخبين، دون النظر في عامل الجهل، والتأويل، وهذا يؤسس لتكفير جماعي (تكفير العموم)، إضافة لتكفير العاذر الذي يشرعن التسلسل في التكفير، وهذ ما دفع تركي البنعلي للردّ على ما أصّله بيان اللجنة المفوّضة من عشرين وجه، كما أسلفنا.

في حقيقة الأمر، إن اللجنة المفوّضة السابقة استغلّت الفراغ الكبير الذي عاشه «داعش» في تلك المرحلة، في ظل احتدام الجدل داخله بين تيارين: الحازمي



تسلسل التكفير وزيادة جرعاته داخل داعش

والبنعلي، فتمكّن الحازميون من بسط نفوذهم، بسبب المراكز الحساسة التي كانوا يمسكون بها، وشنّ المسؤولون الحازميون حملة اعتقالات واسعة وسجنوا، ونصبوا المحاكم للذين أحجموا عن «تكفير العاذر بالجهل»، وفي الوقت نفسه تمكين أتباع الحازمي في مناصب حسّاسة وقيادية،، وتم عزل كثير من الشرعيين ومن المقرّرات التعليمية الشرعية من المعسكرات بدعوى احتوائها على «مخالفات شرعية».

بدا التيار الحازمي نافذاً في أغلب مؤسسات «الدولـة»، وفي صحيفة «النبأ» الإسبوعية نجح في تسجيل مواقفه الفارقة التكفيرية والمتناقضة مع مواقف قيادة «داعش». على سبيل المثال، في عدد (٨٥) من الصحيفة، الصادر في ٢٠ رمضان سنة ١٤٣٨هـ في الحلقة السادسة من (رموز أم أوثان؟!)، حمل فيه الكاتب على: «رموز الإخوان المرتدين كحسن البنا"، "رموز القاعدة كعطية الله الليبي وأبي مصعب السوري، وغيرهم كثير من أئمة الضلال ورؤوس الفتنة»(١٩).

وقد امتدح البغدادي عطية الله الليبي، من بين آخرين مثل ابن لادن والعولقي، وقال عن الليبي (منهم العالم العامل المجاهد: عطية الله صاحب العلم والوقار) (٢٠).

الطريف أن الكاتب وهو يؤكد على فصل رمزية الرجال عن التزامها، وأن الأصل هو الالتزام بالعقيدة وليس بالشخص، ونفي الترميز الذي يـؤدي الى التصنيم، ولكنه حين يتحدث عن النزاعات التي جرت في عهد علي يقول «قد وقع العداء والقتال بينه وبين أقوام هم من خيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يصح بحال نسبة أحد منهم الى خروج أو نصب، فكلهم عندنا سادة عدول، نجلهم جميعاً، ونكف عما شجر بينهم».

على أية حال، فإن التغييرات التي أحدثها تيار الحازمي بما في ذلك البيان الصادر عن اللجنة المفوضة تقرّر إلغاؤها والعودة الى الوضع السابق. وقد صدر تعميم عن اللجنة المفوضة في «الدولة الاسلامية» نشر في العدد (٨) من صحيفة (النبأ) الصادر في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٧، يقول: فقد تم إلغاء العمل بمضمون التعميم المعنون له بالآية الكريمة (ليهلك من هلك عن بينة)..وذلك لاحتوائه على اخطاء علمية وعبارات موهمة غير منضبطة، ادت الى حدوث التنازع والتفريق بين صفوف المجاهدين خاصة، والمسلمين عامة.

كما تم إعادة كتابي: (التقريرات المفيدة في أهم أبواب العقيدة)، و(توعية الرعية بالسياسة الشرعية)، والتي تم إلغاؤها بالكتاب.. وذلك بعد إجراء الاضافات والتعديلات اللازمة.. وأضاف علماء بأن "هذه الكتب لم يتبيّن عند التحقيق

احتواؤها على ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، ونوصي بالرجوع لهذه الكتب في بيان مسألة المتوقف في تكفير المشركين أو حكم الطائفة الممتنعة أو أحكام الديار..»(٢١).

ما يلفت أيضاً، هو استئناف التأصيل العقدي حيث خصّص العددان (٩٨)، و(١٠٠) باباً تحت عنوان (في بيان مسائل منهجية) يعالج المسائل الخلافية داخل المجال الوهابي ولا سيما بين «داعش» و«تيار الحازمي» في سياق التأكيد على تراجعه عن أفكار الأخير والتزامه بما يعتقد أنها تجسيد لاجماع علماء السلف، في قضايا أصول الدين وواجباته، والكفر وصوره، والشرك وأنواعه..

وحمل العدد الأول لمن وصفهم «المرجفين أنصاف المتعلمين..»، وألمح لاحقاً الى هوية المقصودين بذلك بقوله «فكيف تترك أخي المجاهد أهل الثغر من العلماء الذين نفروا الى أرض الجهاد والاسلام، كيف تترك هذا المعين الصافي، ثم تذهب لتأخذ دينك عن القاعدين بين أحضان طواغيت جزيرة العرب وغيرها، وما كفّرهم ولا أنكر عليهم، يخالط جنوده ورجال أمنه ومخابراته من غير أن يبين لهم ما ارتكبوه من نواقض». ثم يبدو أكثر وضوحاً في الاشارة الى الشيخ الحازمي بقوله: «ولا تغتر أخي بسجن الطاغوت لأحدهم، فقد يكون تلميعاً وإشهاراً له، ولأقواله، وإدخالاً له على الإخوة في السجون، لإحداث البلبلة وإلقاء الشبهات بينهم، وقد كانت لهم الفرصة سانحة إن كانوا أهل حق وصدق أن ينفروا الى أرض الجهاد، ويهاجروا الى دار الاسلام». ويضيف «فإن الطاغوت الذي يؤوي أمثال هؤلاء المنظرين للغلو في التكفير، ويسمح برواج بدعتهم هو نفسه الذي يؤوي أهل التجهم والإرجاء ويعينهم على الترويج لبدعتهم، وما ذلك إلا لكون الطرفين والمنهجين في أهل الحق وترك الهجرة والجهاد في سبيل الله».

ويحذر التنظيم عناصره من الخضوع تحت تأثير خطاب الحازميين ويقول: "أخي المجاهد: كيف بعد إذ نجاك الله من شباك علماء الطواغيت أهل الارجاء، تعود فتقع في شباك علماء الطواغيت المروجين للغلو المصدرين للشبهات، لكي يقعدوك عن جهادك، ويردوك عن هجرتك، فيسلم من بأسك أولياؤهم من أعداء الله تعالى".

ويواصل في توصياته ذات المغزى العقدي والتنظيمي في سياق تحصين المقاتلين والكوادر على السواء:

"كيف تترك علم من يحمل معك السلاح، ويقاتل معك في الصف من أهل العلم والفقه – لا أعني أنصاف المتعلمين، وتسلم عقلك وذهنك إلى من لا يستأمن على دينه، وهو يعيش في دعة سالماً مسالما للطواغيت، وينظر لك من بعيد؟".

بصورة إجمالية، كان هجوماً مركزاً وواضحاً ضد التيار الحازمي، وينطوي على إشارة قوية الى أن ثمة في «داعش» من خضع تحت تأثير هذا التيار، فقرر التنظيم خوض معركة أخرى جديدة لاجتثاثه من التنظيم، وعاد الى المعالجة الإيديولوجية مجدّداً بعد أن قرر وقفها، بما يشي بتعاظم تيار الحازمي داخل التنظيم (٢٢).

المصادر

(١) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي الحنبي (إبن القيم الجوزية)، الروح، ص ١٧، أنظر:

goo.gl/pbVGv6

(٢) إبن القيم، إعلام الموقعين، ج١، ص٥٠

(٣) أبو يوسف الكرار، مقرر في التوحيد (للمعسكرات)، أنظر:

https://justpaste.it/wu9a

(٤) تعلموا أمر دينكم، ديوان الدعوة والمساجد، هيئة البحوث والافتاء بالدولة الاسلامية، الطبعة الثانية، رجب ١٤٣٦هـ، ص ٢٢، أنظر:

https://www.pdf-archive.com/2016/12/31/untitled-pdf-document-1/untitled-pdf-document.pdf

(٥) المصدر السابق، ص ٢٣

(٦) المصدر السابق، ص ٢٧

(٧) التقريرات المفيدة في أهم أبواب العقيدة، مكتب البحوث والدراسات، الدولة الاسلامية، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ، ص ص ٥٨ ـ ٥٩ أنظر:

https://goo.gl/L2DgPB

(٨) الرّد على دولة الاصنام في العراق و الشام في جعلهم مناط تكفير من لم يكفر المشركين هو التكذيب، جمَع معاذ الفاتح، أنظر الرابط:

https://mesbeh.blogspot.co.id/2017/04/blog-post_25.html

(٩) تعميم: ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، اللجنة المفوضة ـ الدولة الاسلامية، الرقم هـ ٨ ـ ت ـ ٣١، التاريخ ٢٠١٧/٥/١٧، شبكة الليوث الاسلامية، أنظر:

goo.gl/Za7Z1o

(١٠) ملاحظات تركي البنعلي على بيان اللجنة المفوضة، أنظر:

https://drive.google.com/file/d/0Bznya35PoYftMmRhVHVoU216Vmc/view

(١١) مقتل البنعلي يكشف الخلافات الحادة داخل "الدولة" (وثائق)، عربي٢١، ١٠ يوليو ٢٠١٧، أنظر:

goo.gl/VEw7sT

(١٢) النص الكامل لخطاب الخليفة أبو بكر البغدادي "وكفى بربك هادياً ونصيرا"، مجلة النبأ، العدد ٩٩، تاريخ ٨ محرم ١٤٣٩، أنظر:

https://dawaalhaq.com/post/77153

وانظر مؤسسة الفرقان، ٢٨ سبتمبر ٢٠١٧:

https://goo.gl/R9gcxA

(١٣) ماذا قال الخليفة أبو بكر البغدادي في رسالته للجنود والقادة ومسئولي الولايات والدواوين؟!، مؤسسة دعوة الحق للدراسات والبحوث، ١٦ مايو ٢٠١٧، أنظر:

https://dawaalhaq.com/post/71160

(١٤) وليد منصور، بسبب غياب "البغدادي".. أعضاء تنظيم "داعش" ينقضون البيعة، ١٨ سبتمبر/٢٠١٧

http://www.albawabhnews.com/2712358

(١٥) صحيفة النبأ، العدد ٩٧، ذي الحجة ١٤٣٨هـ، أنظر:

goo.gl/tPeFCy

(١٦) تنظيم «الدولة» يقرّ بـ«نزاع داخلي» ويصفي جناح «الحازمية»، القدس العربي، ١٨ سبتمبر ٢٠١٧، أنظر:

http://www.alquds.co.uk/?p=791923

(١٧) "أبو مرام الجزائري" مفتي "داعش" بسوريا جنّد ٣٢ جهادياً من بومرداس، موقع جزايرس، ٧ ديسمبر ٢٠١٤، أنظر:

http://www.djazairess.com/elkhabar/576444

(١٨) داعش يتراجع عن البيان الذي شق صفوفه ويبقي الجدل قائما، موقع البوابة، ١٨ سبتمبر ٢٠١٧، أنظر:

https://goo.gl/hS7uaz

(١٩) صحيفة النبأ، العدد ٨٥، ٢٠ رمضان ١٤٣٨هـ، أنظر:

https://sawarim.net/wp-content/uploads/2017/06/85.pdf

(٢٠) أبو بكر البغدادي، ويأبى الله الا أن يتم نوره، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، رمضان ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢/٧ن أنظر:

https://archive.org/details/2b-bkr-bghdd

(٢١) صحيفة البناء، العدد (٩٨) ٢٣ سبتمبر ٢٠١٧، ص ٨، أنظر:

goo.gl/agJeMb

(٢٢)أنظر: سلسلة علمية (في بيان مسائل منهجية ـ١)، صحيفة (النبأ) العدد ٩٨، ٢٣ سبتمبر ٢٠١٧، أنظر:

goo.gl/agJeMb

وأنظر: سلسلة علمية (في بيان مسائل منهجية ـ ٢)، صحيفة (النبأ) العدد ١٠٠، ٥ أكتوبر ٢٠١٧، أنظر:

goo.gl/pRzQAe

وجوه حجازية

(١)

إبراهيم المهتار

(... - ١٠٧٠هـ)

هو إبراهيم بن يوسف المهتار، المكي، الأديب، الشاعر المشهور في الحجاز.

ذكره ابن معصوم، صاحب: سلافة العصر، وتحامل عليه وقال: (ولقد تصفحت ديوانه الذي جمعه، فلم أرَ فيه إلا ما تمجّه الأسماع، إلا كلمات كادت أن تصفو من الشوائب). في حين قال المحبي في خلاصته: (وشعره كما رأيت الى الإحسان أقرب، فما أدري أي شيء أبعده. وليس الداعي الى ما قاله ابن معصوم الا التحامل والغرض، ونحن ننظر الى الجوهر ونترك العرض)، واضاف: (وبالجملة فإنه أكثر المكيين شعراً، وكان مطلعاً على أمثال وأخبار كثيرة، ورأيت بخطه مجاميع كثيرة تدل على وفرة معلوماته، وكان أدباء الحجاز دائماً يداعبونه ويمازحونه). وختم: (وسبب خمول قدره فيما بينهم، كون أبيه مملوكاً).

ونقل مرداد أبو الخير كثيراً ممن ترجم له، كالمحبي في نفحة الريحانة، وعبدالرحمن الذهبي في النفحات، ومصطفى الحموي في نتائج السفر والإرتحال. حيث قال الحموي: (شاعر حسن الشعر، حلو المقطعات. له شعر يُستظرف في معناه، ويُستحلى مغزاه، ويُتغنّى بشذاه).

برع ابراهيم المهتار في الفنون الشعرية، وجمع مجاميع لطيفة أدبية، وله ديوان شعر.

توفي في حدود السبعين بعد الألف، ودفن في مقبرة المعلاة.

له: التذكرة، مجموعة من مختاراته في إثني عشر مجلداً كبيراً. وله: درّ النظم في وقوع أركان البيت المعظم؛ وله ديوان شعر: الروض الأرج؛ وكتاب الشميمة والعاطر التميمة في التراجم والتاريخ؛ وأخيراً له: نسيم الصبا ونديم الصبا[1].

(٢)

محمد الطيب المراكشي

(١٢٩٦ - ١٣٦٤هـ)

هو محمد الطيب بن محمد بن علي بن عبدالله بن قروان المراكشي. ولد بقرية منابرة من قرى مراكش، وقرأ القرآن الكريم على خاله المقرئ الشيخ علي بن أحمد البكري، وقرأ في دزموطة الفقه المالكي، والنحو على الشيخ أحمد بن محمد المطاعي، وختم عليه صحيح البخاري مرتين. بعدها دخل مراكش سنة ١٣٢١هـ حيث تلقى عن علمائها علوم الشريعة واللغة العربية، منهم الشيخ محمد بن إبراهيم السباعي والشيخ العربي الرحماني، والشيخ محمد السوس، وأجازوه إجازة عامة، كما أجازه كل من الشيخ محمد عبدالسلام بن أحمد بوستة، والشيخ أحمد الحداري، والسيد الفاسي.

وفي عام ١٣٢٤هـ، قام الطيب المراكشي برحلة الى مصر، فأخذ بها عن السيد أحمد الرفاعي، واجتمع بالشيخ الطاهر الجزاري وأجازه، ثم رحل الى بنغازي بليبيا، وأخذ بها عن السيد أحمد بن أبي القاسم العلياوي الطرابلسي، ومكث فيها مدة طالباً للعلم.

وفي ١٣٢٨هـ، قدم مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، واجتمع بالشيخ عبدالله حمدوه، فجوّد عليه القرآن، وأنِسَ كلٌ بصاحبه.

بعدها رحل المراكشي الى أندونيسيا لنشر العلم في الشرق الأقصى، فاستفاد منه الناس، واتصل بالسيد محمد بن عبدالرحمن بن شهاب، فأجازه، وزار عدة أماكن فيها.

وفي عام ١٣٣١هـ، قام المراكشي برحلة ثانية الى مصر، ومنها الى الشام، فاجتمع بدمشق بالمحدّث الشيخ بدر الدين، وبالعالم السلفي الشيخ جمال الدين القاسمي، وأجازاه، ثم عاد الى مكة المكرمة عن طريق المدينة المنورة، فوصل مكة المكرمة عام ١٣٣٢هـ واستقر بها.

عُيّن المراكشي مدرساً بمدرسة الفلاح، واشتغل فيها بالتدريس، وكذلك فعل في المسجد الحرام. وفي سنة ١٣٥٤هـ، عُيّن وكيلاً لمدرسة الفلاح، ثم مديراً لها، وأبدى كفاءة وحسن تصرف وإدارة، فلهجت الألسن بها؛ ولكنه رأى أن قيامه بإدارة المدرسة، صرفهُ عن مطالعة الكتب ونشر العلم، ففضل أن يكون بها مدرّساً، فأُجيبت رغبته، وظلّ مدرساً بها بقية حياته.

توفي رحمه الله بمكة المكرمة ودُفن فيها[2].

(١) محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٥٣؛ وفيها كانت وفاته بعد الأربعين وألف بقليل. وانظر: عبدالله مرداد أبو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ٥٥-٦٠، وكانت وفاته بعد الأربعين بقليل. وانظر: علي ابن معصوم المدني، سلافة العصر، ص ٢٤٤؛ وخير الدين الزركلي، الأعلام، جـ١، ص ١٣١؛ وفيه المتهاري، الرومي، المكي، نزيل صنعاء، مات مقتولاً بها، ووفاته سنة ١٠٧١هـ. كذلك انظر: اسماعيل البغدادي، هدية العارفين، جـ ١، ص ٣٣؛ ومحمد الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري الى القرن الثالث عشر الهجري، ص ٣٤٥، وفيه المتهاري، وكان ملازماً لبيته أكثر الأيام، مات ولم يشعر به أحد إلا بعد ثلاثة أيام.

(٢) محمود سعيد أبو سليمان، تشنيف الأسماع، ص ٢٥٦؛ وعمر عبدالجبار، سيرة وتراجم، ص ٢٩١؛ وعبدالله بن محمد غازي، نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ص ٧٣؛ ومحمد ياسين الفاداني، قرة العين في أسانيد مشايخي من أعلام الحرمين، جـ١، ص ٢١٥، وفيه بن مروان المراكشي (بدلاً من قروان).

كلمة حق أمام (داشرٍ) جائر!

من يجروءْ على الكلام في مملكة آل سعود اللئام؟!

مغردون يختفون، ورجال (دليم/ سعود القحطاني) يكتبون بالنيابة عن المعتقلين في حساباتهم على تويتر!

كلمة نقد ـ ولو من بعيد ـ تكلف المواطن هذه الأيام سنوات طويلة من عمره!

فليصمت الجميع، اذن، وليفعل محمد بن سلمان ما يشاء.

ومحظوظ من يُقبل منه الصمت، صحفيا كان او كاتباً او شخصية مشهورة.

فقد يكلف الصمت صاحبه السجن ايضاً، لأنه لم (يتكلم) في مديح ولاة الأمر، ويمجد أفعالهم، أو لم ينتقد خصومهم ويدخل الوحل القذر معهم.

عشرات من الكتاب والمغردين يكتبون حسب الأوامر، بعد أن كانوا ناقدين، تنويريين.

هو الخوف اذن، في مملكة الخوف التي صنعها سلمان وابنه.

لهذا قد تجد فضيلة لدى أحدهم إن شممتَ من مقالته او تغريدته رائحة رأي حر، او نقد كتب بصيغة ملتوية، او قصد منها الكاتب شيئاً غير الظاهر منها. هذا يعد شجاعة حقاً.

ولعلنا نسيء هنا لمن ننقل عنهم شجاعتهم، فلربما نفوا ان يكونوا يعنون ما فهمناه مما كتبوه!

(العم) بخيت الزهراني مفاجأة، وفي أجواء القمع السعودي، كتب دون أن يؤشر الى أحد بعينه: (الزعيم الحقيقي لا يسرق شعبه، بل يضحي بماله الخاص في سبيلهم. لا يستوي زعيم ولصّ)!

نأمل ان لا يحقق معه أحدٌ من المباحث فيسأله: (مَنْ كنتَ تقصد يا خبيث)؟!

الأديب محمد زايد الألمعي يلخّص في جملة واحدة المشهد السياسي السعودي، وعلاقة التيار الوهابي بآل سعود، دون ان يحدد المعني بالأمر: (الدولة التي توزّع سلطتها على أوليائها، لا تحسُّ بالورطة إلا عند حاجتها لاستعادة هذه السلطة)!

فهل قصد أن آل سعود يريدون استعادة سلطتهم التي منحوها مشايخ الوهابية الرسميين والصحويين؟

يلخص الألمعي أيضاً انطلاق الشوفينية بالإسم الوطني او الديني فيقول: (أصبحوا مُخبرينَ ووعّاظاً او عقاريينَ أو سماسرة. ثم جاءت كائناتٌ من سلالة غامضة لتحديد معايير وطنيتي: فأصبحتُ شاعراً لا يعجبه شيء!). ويمضي فيقول حكمةً: (الكراهية باسم الدين تفضي الى كراهية الدين باسم المحبّة)!

من يكتب في المنفى لا خطر عليه، ولديه متسع من الحرية ليصرخ بملء الفم، كما هو المحامي المتميز في المنفى والحقوقي عبدالعزيز الحصان، الذي كتب: (وطنٌ بلا ضمائر، مجرد خريطة وطن). وخاطب الشوفينيين المحاربين عن النظام باسم الوطنية: (خذوا وطنيتكم واذهبوا بها الى الجحيم. فالأرض للشعب، والوطن لا يُبنى بالمرتزقة). ومثل الحصان، الدكتور المنفي عبدالله الشمري والذي يخاطب عائلة آل الشيخ المتحالفة مع آل سعود: (بأيّ مسوّغ شرعي تكون لكم مخصصات من أموال الشعب؟ وهل هذا من المنهج السلفي الذي تدّعونه أنتم وآل سعود؟).

الاعلامية في اذاعة مونت كارلو ـ والتي نالت الدكتوراة حديثا ـ ايمان الحمود، والتي نسأل الله ان يستر عليها، أغضبت حزب السلطة مراراً بكتاباتها. كتبت ذات مرة: (أرجوكم.. أوقفوا الحرب في اليمن. فلا منتصر فيها، والخاسر الوحيد هو شعب اليمن). وهذه الدعوة جريمة بنظر آل سعود. وعلى طريقة: إياك أعني واسمعي ياجارة، وجهت نقداً مخنوقاً لمن يهمه الأمر: (الدولة التي تخشى على كيانها من مجرد تغريدة أو رأي حر، هي دولة من ورق). واضافت: (عندما يكون إعلامك ذا اتجاه واحد، يقصي الصوت المختلف، ويدفعه الى منابر اخرى للتعبير عن رأيه.. صدقني، هي مشكلتك أولاً، قبل ان تكون مشكلته). وعن الاعتقالات كتبت: (مهما كنت محنكاً سياسياً.. لا يمكنك الدفاع عن مبدأ الإعتقال في اي بلد كان.. لأنك تدافع عن قضية خاسرة.. ودفاعك سيسيء لصورة بلدك اكثر!).

جمال خاشقجي الذي فرّ الى المنفى (أمريكا) يكتب مقالات وله آراء جميلة هذه الأيام وجريئة، لكن قيمتها وتأثيرها ضعيف، فالرجل كان الى الأمس (طبالاً) لدى آل سعود، فمن سيسمع اليوم نقده فيهم، بعد أن ركلوه؟

تركي الحمد، مثقف اصطفّ كلياً مع آل سعود، لكنه قدّم رأياً غير مسبوق. فقد دعا الى (الفيدرالية) في السعودية. قال: (الفيدرالية أفضل أشكال الدولة لمن لديه تنوّع. فرض الأحادية قد يستمر زمناً، ولكنه يبقى قنبلة موقوتة. خيارنا اليوم هو بين الفيدرالية والتقسيم). وأضاف: (اميركا دولة فيدرالية، وكذلك روسيا والبرازيل وسيوسرا الصغيرة وألمانيا والهند.. وكلها تتمتع باستقرار تحسد عليه. أما آن لنا أن نستفيد منهم؟).

لو أحدٌ آخر قال هذا الكلام، لكان قد وضع في السجن فوراً! أما وقد أتى من منافح عن محمد بن سلمان ومغرمٌ بسياساته الفاشية، فإنه قد غُفر له ذنبه!

نبش أحدهم في تغريدات تركي الدخيل، مدير قناة العربية، فوجد الكثير مما يختلف عن تطبيلاته. من ذلك: (إذا أرادت الأنظمة الخائفة من زحف الثورات البقاء، فلتبدأ بالإصلاح المالي أولاً، لتوزّعْ الثروة بالعدالة، ولتُنهي الإستئثار الذي آذى الشعوب).

طبعاً تركي ليس (صحوياً) فيُتهم بدعم الثورات ويُعتقل!



النسخة المطبوعة





أرشيف المجلة

(شام السعودية ويمنها)!
الجنون السعودي.. عهد الحروب

لقاء جمع مسؤولاً أميركياً كبيراً مع أحد كبار الأمراء في العائلة المالكة قبل أسابيع، ودار نقاش حول خيارات السعودية في المرحلة المقبلة، عقب التحوّل في السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. فاجأ الأمير ضيفه بالقول أن بلاده على استعداد لخوض حرب منفردة ضد إيران، ودون طلب الإذن من أحد، ولا الاستعانة بالولايات المتحدة أو أي دولة أخرى. الضيف تساءل مستغرباً: ولكن الايرانيين سيقومون بالرد، وقد يدمّرون مدنكم، فهل أنتم مستعدون؟ فرد الأمير على الفور: لا مشكلة لدينا، ليفعلوا ما يشاؤون. ولن نسمح باستمرار هذا الوضع.



سماته.. دوافعه وأهدافه
العنف السعودي الوهابي

لم يعد العنف ظاهرة محلية بل عابرة للمناطق والطوائف ولكن ليس على قاعدة تضييع المسؤولية والأدلة الجنائية، فهناك اليوم عقيدة مسؤولة عن تطويرخطاب العنف وتنميته وتعميمه. إن عبارات من قبيل (الارهاب لا دين له) وأضرابها هي المسؤولة اليوم عن تعويم الأيديولوجية الدينية المسؤولة عن أكثر من 90 بالمئة من العمليات الارهابية في العالم..حين نقول بأن العنف ظاهرة كونية لا يعني سوى توصيف المدى الجغرافي الذي بلغته وليس تبرئة جهة ما بعينها أو تعميم التهمة لتشمل جميع المعتقدات.



تفجيرات الوهابية في مسجدي الامام علي والإمام الحسين في القديح والدمام

في الحديث عن أشكال العنف المألوفة نحن أمام الشكل الأقصى والأقسى للعنف، إذ ثمة معنى متعالياً لممارسته أولاً، وثانياً للتضحية بالذات بناء على محرّضات ذات طبيعة غير بشرية وإن كانت تحقق غايات بشرية..





تشييع شهداء القديح

تفجيرات القديح والدمام
إنهيار الحكم في السعودية حتمي

ثلاث قضايا ستشكل انعطافات في تاريخ الدولة السعودية الحديثة، وقد تودي بها

أسرار خطيرة في مراسلات قادة (القاعدة) 2 من 2

في رسالة بعث بها الشيخ عطية الله الليبي الى زعيم القاعدة أسامة بن لادن في 5 شعبان 1431هـ (17 يوليو 2010م)، استعرض فيها عدداً من القضايا ومن بينها اليمن، بدا فيها التباين واضحاً بين رؤية بن لادن وقيادة التنظيم فرع اليمن. فبينما ينقل بن لادن الأخيرين الى رحاب المعركة الكبرى بين «القاعدة» والولايات المتحدة، كان قادة الفرع اليمني يلحّون على توجيه الحرب نحو الداخل اليمني، على أساس أن ثمة حرباً يخوضها التنظيم في اليمن، وعليه «نحن أمام واقع كيف نستطيع أن نتصرف بحكمة وباستيعاب لشبابنا ورجالنا..».



مؤرّخو الوهابية.. عثمان بن بشر
الغزو أساس المُلك - 4

التفسير الديني لسقوط الدولة السعودية يخفي حقيقة ما كان يعاني منه حكّام آل سعود من أمراض السلطة، وهو ما أشار اليه حفيد محمد بن عبد الوهاب الشيخ حسن آل الشيخ الذي وجّه انتقاداً لحكّام آل سعود لنزوعهم الدنيوي، وتنازلهم عن البعد (الرسولي) الذي حكم الدولة السعودية الأولى.

لقد شهد عام 1229هـ، موت سعود ورئيس الكويت عبد الله بن صباح بن جابر بن سليمان بن أحمد الصباح، وابراهيم بن سليمان بن عفيصان في بلدة عنيزة، وكان سعود جعله أميراً عليها بعدما عزله عن الاحساء. وتحدّث ابن بشر عن وباء أصاب بلدان سدير ومنيخ،



المفاجأة السعودية:
بن سلمان أمير الأمراء



لوحة للفنانة صفيّة بن زقر